



Şālih ibn Aḥmad
Taḥkīm al-nāẓir

[illegible]

Princeton University Library



32101 074322361

٢٢٢٢

Salih ibn Ahmad

Tahkim al-nāzir

تحكيم النّاظر

فيما جرى منه لاختلاف بني أمية ابن القاسم
صلى الله عليه وسلم

(للمسكين المتعرض لما لا يطيق)

(صالح بن أحمد)

صاحب الرسالة لم يأذن لأحد كائنا من كان بالتعليق على رسالته
بتأنا بل تطبع على ما هي عليه بدون زيادة ولا نقص

حقوق الطبع محفوظة لناشرها
الشيخ نور حمد بمكة والمؤلف بالمدينة
المنورة

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

مطبعة ججازي بالقاهرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين ،

أما بعد فهذه رسالة صالحة أسمها مؤلفها بتحكيم الناظر في ما جرى من
الاختلاف بين أمة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم قد اطلعت عليها من أولها
إلى آخرها مصححها لها والفيتها قد طابقت اسمها حذو القذة بالقذة .

وقد بالغ المؤلف في تسهيل الفاظها فلا يحتاج قراؤها إلى مصاحبة قاموس
ولا منجد وبالغ أيضا في البيان حتى أصبح الناظر فيها على بصيرة في دينه
حيث أظهر له ما كان مخفيا عنه .

أسأل الله الكريم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ويجعل هذه الرسالة نتيجة
كبرى لهداية كثير من الناس وصلى الله على سيدنا محمد في البدء والختام
كتبه

عبد الرحمن الأقريني

المدرس بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة
وبمدرسة دار الحديث



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وأنزل عليه كتابا كريما مرغما لأعدائه هاديا لأوليائه مبينا للحلال والحرام قاطعا للخصام شافيا للسقام حاكما على الأحلام هادما للأوهام حجة فى كل زمان ، ونحمده لأن هدانا وجعلنا من أمة خير خلقه وآوانا فى بلدته وجعل الهدى والنجاة فى اتباعه . . ثم الصلاة والسلام على نبيه سيد الأنام وعلى آله وصحبه السادات الكرام .

وبعد فمن العجائب اختلاف هذه الأمة المحمدية فى دين الله سبحانه وتعالى حتى تشابهوا بأهل أديان شتى لكثرة اختلافهم ولتفرقهم فى دين الله سبحانه وتعالى فى أصوله وفروعه مع أن كتابهم المحفوظ واحد ونبيهم الذى أرسل إليهم واحد ومع ذلك اختلفوا وتفرقوا وصاروا فرقا وصارت كل فرقة منهم تخطئ وتضلل الأخرى وتقول كتبنا وكتبكم وإمامنا وإمامكم وترى أن الذى هى عليه هو الحق المبين ودين الله المتين الذى بلغه الرسول الكريم من عند رب العالمين لتناقضه الأمة إلى يوم الدين . وترى كل فرقة منهم أنها هى التى استثنىها النبي صلى الله عليه وسلم حين حدث فقال (إن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاثة وسبعين كلها فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى قال من كان على ما أنا عليه وأصحابى) رواه الترمذى . . والحديث غير مجمل ولا محتمل التأويل لتجذبه كل فرقة إلى ما تهواه بل قد بين النبي صلى الله عليه وسلم الفرقة الناجية . بقوله . . على ما أنا عليه وأصحابى . . يعنى الذين اهتدوا بهديهم وساروا بسيرهم وبذلك دل الحديث إلى أهله دلالة ظاهرة لا يتطرقها التأويل بتاتا ومعلوم أن أهله

هم الذين يتقفون النبي صلى الله عليه وسلم ويعملون بالكتاب والسنة فما للجدال بعد من قول فال دعاوى إن لم تقم عليها بينات يجدها أهلها حين التحقيق سرايا لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لوعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر) رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين . . وكل من يدعى أن الحديث حجة له لو نظر إلى عمله بالإنصاف ثم طبقه بالكتاب والسنة لعلم علم اليقين لمن يشهد الحديث المتنازع فيه له أو عليه . قال تعالى « فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » اللهم أسمعنا وأبصرنا الحق وارزقنا اتباعه ولا تجعلنا من الغافلين ووفقنا لما تحب وترضى وما توفيق إلا بالله العلي العظيم فالجدل والتبني ان لم يصحبهما برهان من الله تعالى لم يغنيا عن صاحبهما شيئا قال سبحانه وتعالى « ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به » وسبب استمرارهم في الاختلاف دائما وابدا هو عدم التحاكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد أمرنا الله تعالى ان نتحاكم إليهما إذا اختلفنا في شيء . بقوله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » ولكن هؤلاء تركوا ذلك واعتمدوا لمقابلتهم على الجدل وجعلوا الدين كالعادات يرى كل فريق منهم ما وجد عليه آباءهم وأهل بلدتهم هو الحسن وهو الحق عندهم بدون برهان وغيره خطأ وقيحا ولو كان حقا كما هو مشاهد في العادات ترى كل شخص يستحسن عادة بلده في الغالب وإن كان غيرها خيرا منها كما جاء في الحديث (ان بني إسرائيل كانوا يعيرون موسى صلوات الله عليه لاغتساله مستترا عنهم ولم يغتسل معهم عاريا مثلهم) وأيضا بنو العرارة الذين وجدوا سلفهم عرارة يستحسنون العرى عن الكسوة ويستقبحون الكسوة بل يعيرون أهلها وهم جرا من أمثال هذا

ثم إنى لم أزل محتارا متعجبا زمنا طويلا من الحالة المذكورة مذ قصدت بتوفيق الله تعالى فهم كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واطلعت على كتب الفرق المختلفة وصرت أسمع جدلهم حتى بدالى ان اكتب رسالة أذكر فيها شيئا من جدلهم وأدلتهم بصفة سؤال وجواب كالمناظرة وان كنت لست أهلا للخوض فى مثل هذا البحث ولاكن النفس إذا انشغلت بشئ لا تطمئن حتى تجده أو تفعله كما ذكر الله تعالى عن يعقوب صلوات الله عليه « إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » وينحصر بحث هذه الرسالة فى ثلاثة بحوث البحث الأول فى صفات الله تعالى هل الحق التسليم فيها بدون تأويل كما يقول السلف . ام الحق التأويل كما يقول الخلف . والثانى التوسل بذات أهل الصلاح . هل هو أمر مشروع ام لا . والثالث أحق التقليد المتمسك به اليوم أكثر الأمة ؟ وهو العمل بما فى كتب المذهب سواء وافق ذلك الأدلة التى بين أيدينا . ام لا . ام الحق والواجب الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . ثم باثر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . ثم الأخذ بقول كل عالم موثوق بعلمه ودينه بدون تقيد بأحد دون أحد فيما لم يوجد له النص من أحد الثلاثة السالفة الكتاب والسنة والاثر فسيكون الجدل المذكور الآتى ذكره فى الاولين بين أهل المذاهب الأربعة عدا النجديين وبين أهل الحديث الامن شذ منهم كتابن حزم حيث إنه يؤول بعض الصفات . أما الجدل الثالث . فهو بين أهل الحديث وبين أهل المذاهب الأربعة الرائجة : الحنفى . والمالكى . والشافعى والحنبل وحاصل مذهب النجديين يتفق مع أهل الحديث فى العقائد والتوسل ويتفق مع أهل المذاهب الأربعة فى الفروع لأنهم مقلدون الإمام أحمد بن حنبل فى الفروع حقيقة إلا أن بعض أهل العلم منهم أخف تعصبا بالنسبة

إلى غيرهم حيث يلاحظون الأدلة . ولا أتعرض للذهاب الأخرى لأن
الاختلاف الواقع بين المذكورين فيه ما يدعو إلى العجب والأسف مما
لا يحصى وأيضا هم الذين استمر بينهم الجدل في كل زمان ومكان وهم الذين
اطلعت على كتبهم وحضرت بعض مجالس جدلهم دون غيرهم .
ولا أتعرض أيضا لترجيح أى مذهب بل أفوض ذلك إلى من
يطلع على هذه الرسالة من أهل العلم المنصفين غير الغالين ولا المتحيزين
ولذلك سميتها . تحكيم الناظر فيها جرى من الاختلاف بين أمة أبى
القاسم صلى الله عليه وسلم . فاذا قلت فى بحث الصفات والتوسل : قال السلفى
أعنى به أهل الحديث والنجديين : وإذا قلت فيهما قال الخلفى . أعنى به أهل
المذاهب الأربعة عدا النجد بين . وإذا قلت فى الفروع : قال السلفى ، أعنى به
أهل الحديث فقط : وإذا قلت فيه قال المقلد . أعنى به أهل المذاهب الأربعة
المذكورة آنفا . وحين الشروع كنت قاصداً أن اكتب بحثا رابعا وهو بحث
الاستغاثة بصالح الأموات وبالخى الحاضر فيما لا يستطيعه أحد الا الله سبحانه
وتعالى . ولكنى تركت ذلك لعدم وجود الأدلة من طرف المجيزين ذلك لأن
المنظرة لا بد لها من الاستدلالات المتكررة من الطرفين سواء كانت صالحة
أم غير صالحة ولم أجد أدلة فى كتب المجيزين ولم اسمع منهم فى جدلهم عدا
قولهم إن الولى فلان فعل كيت وكيت وإن الأولياء فعلت كيت وكيت
وتفعل كيت وكيت ولم يستدلوا على ذلك بشئ سوى . قوله تعالى ، ألا إن
أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهذه الآية هى بشرى لأولياء
الرحمن فى حق أنفسهم فقط ، ولم تفقد ولم تشعر انهم يدعون ويسمعون
الدعاء ويحييون الداعى ، وهذا أو ان الشروع فى المقصود فالله المستعان
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعليه الاعتماد

الجلسة الأولى في بحث الصفات

قال السلفي : صف لي ربنا سبحانه وتعالى .

قال الخنفي : الله الحي القيوم ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر

قال السلفي : ما حملك على التأويل وما الدليل عليه ؟

قال الخنفي : انه مذهب جمهور علماء الخلف والدليل عليه ما سيأتى من

عقيدة العلامة الذنبي وشرحها للعلامة سعد الدين النفثازانى ص ٦٦ الله الحي

القيوم القادر العليم السميع البصير الشاى المرید ليس بعرض لأنه لا يقوم

بذاته ولا جسم لأنه مترک ومتميز ولا جوهر لأنه اسم للجزء الذى لا يتجزأ

وقال أيضا عبد الغنى النابلسى فى كفاية الغلام فى الصفحة الأولى :

معرفة الله عليه تفترض بانه لا جوهر ولا عرض

قال السلفي . كلامك هذا يقتضى نفي البارى سبحانه وتعالى عن الوجود

بالكلية وان لم تعتقد ذلك ، لأنك لم تترك شيئا يسمى باسم أبدا لأن اشياء

المسميات فى الوجود والى تسمى باسم ما تخلو من أمرين إما أجسام أو صفات

وانت نفيت عنه الجميع بالكلية والجزئية ونفى ذلك يقتضى نفيه لزوما تعالى

الله عما تقولون

قال الخنفي : لا ، لم انفه بل نزهته سبحانه من أن يوصف بصفات خلقه

وهو فرد ذاتا وصفة .

قال السلفي : لا . لم تنزهه بل نفيته عن الوجود بتاتا وانت تظن انك تحسن

صنعا . فالتنزيه يكون لشيء موجود فى الخارج لا لمجرد الخيال فى الذهن

فانه اسم بدون مسمى فالاسم لا بد له من مسمى والمسمى لا يخلو اما أن يكون

ذاتا أو صفة لا ثالث لهما وانت نفيت أن يكون البارى أحدهما بلازم

وملزوم خلقتهما من نفسك مع أن الصفة لا بد لها من موصوف تقوم به حيث انها لا تقوم بنفسها .

قال السلفي : هل تعتقد أن صفات الله لازمة له غير منفكة عنه أم لا .
قال الخلفي : نعم له صفات أزلية قائمة بذاته وهي لا هو ولا غيره يعنى أن صفات الله ليست عين الذات ولا غير الذات هكذا قال العلامة النسفي في ص ٧٧ وشرحها للعلامة سعد الدين التفتازاني .

قال السلفي : هذا نحو ما تقدم وهو يقتضى رفع النقيضين مع سلب الصفات بالكلية والمعدوم لا يكون صفة وكلامك هذا بالهذيان أقرب .

قال الخلفي : إذا ماذا تقول في صفات الله تعالى ؟

قال السلفي : أقول كما أمر الله تعالى أن يقول فيه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وقال تعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وأعتقد أن الله سبحانه وتعالى موصوف بجميع صفات السكال التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز ووصفه بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بدون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه بأحد من خلقه ولا نعلم منه إلا ما علمنا ولم يكلفنا ما لا نعلم بل أنكر ونهى على من قال ما لا يعلم . قال تعالى منكر : « هاء تم هؤلاء حاجبتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم » وقال : « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » وقال لنبيه الكريم : « ولا تقف ما ليس لك به علم » وقالت الملائكة « لا علم لنا إلا ما علمتنا » وفي الحديث . عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إنما الأمور ثلاثة : أمر تبين لك رشده فاتبعه وأمر تبين لك زيغه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فسله إلى عالمه) ذكره الغلاني في الإيقاظ اوين عبد البر

في كتاب العلم وقال الطحاوي الخنفي المولود عام ٢٣٠ هجرية في عقيدته الطحاوية التي بين فيها عقائد السلف وذكر أنها عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة : أبي حنيفة النعمان بن ثابت السكوني وأبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم الأنصاري ومحمد بن الحسن الشيباني . فانه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد علم ما اشتبه إلى عالمه ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام . ومن رام علم ما حظر عنه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبته مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الايمان فيتذبذب بين الكفر والايمان . والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تأمهاً شاذاً لا مؤمناً مصداقاً ولا جاحداً مكذباً . فالعلم علمان : علم في خلق موجود وعلم في خلق مفقود . وإنكار العلم الموجود ، وطلب العلم المفقود كفر . ولا يثبت الايمان إلا بقبول العلم الموجود وترك العلم المفقود . وعن الربيع ابن خيثم أنه قال — يا عبد الله ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله وما استأثر عليك به عن علم فكله إلى عالمه ولا تتكلف فإن الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين » ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم

قال السلفي : ماذا تقول في قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى »
قال الخنفي : معنى ذلك أنه استولى وقهر وغلب ومعنى استوى واستولى واحد .

قال السلفي : ما حملك على التأويل وما الدليل عليه ؟
قال الخنفي : إنه مذهب جمهور علماء الخلف والدليل عليه والسبب الحامل عليه هو ما قاله أحمد بن موسى الخيالي في حاشيته على شرح سعد الدين

التفتازانى ص ٨٤ لأن النقل الوارد فى الممتنعات العقلية يجب تأويله لتقدم العقل على النقل ، فإن قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » لدلالته على الجلوس المحال على الله يجب تأويله بالاستيلاء ونحوه .

قال السلفى : تكلفت يا هذا وألحدت وارتجلت بباطل . قال تعالى : « وذر الذين يلحدون فى أسمائه » فررت من القبيح حسب فهمك الخاطى لتحسن صنعا ووقعت فيما هو أقبح منه . وجدت بما زعمته قول كفار قريش بل هو أقبح مما زعموه . أخبر سبحانه وتعالى

أنهم قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » فكفار قريش ادعوا المثلية وعجزوا عنها . ثم لم يزعموا أنهم أتوا بما زعموه مثلك . وثانيا لم يزعموا أنهم لو شاءوا لآتوا بأفضل مما أنزل الله على رسوله لعلمهم أنهم عاجزون عن المثلية . وأما أنت ما أكتفيت بالمثلية بل ادعيت أنك أتيت بأفضل مما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . فلذلك صرفت كلام إله العالمين وأوجبت تقديم عقلك على كتابه العزيز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما أقبحه من قول وأسوأه وأبشعه وأشنعه . ولا يظن مسلم مثل هذا القول يصدر من يزعم الإسلام فضلا عن أن يصدر من يدعى العلم ويرى أنه أهدى سبيلا . هاك أنظر إلى فوائد العقول وما آلت إليه وأثرته لأهلها الذين قدموها على حكم الله سبحانه وتعالى قال إبليس اللعين شيخ مشايخ من قدم العقل عن النقل : (أأسجد لبشر خلقته من طين) فعصى ربه لما خالف عقله ما أمره به ربه . فلذلك أصبح من المطرودين من رحمة ربه . وقال عباد الأوثان : « أبعث الله بشرا رسولا ، أنكرت وكرهت عقولهم أن يكون بشر رسولا . ورضيت أن يتخذوا من الأحجار والأخشاب التى صنعتها أيديهم أربابا تعبد من دون الله . وهذا قليل من الكثير . فيجب على العقلاء اتباع النقل ولا عكس .

وكفى للعقل من الخير والشرف أن يفقه ما أنزل الله ويعقل صاحبه فيما قال الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وبئس العقل المعارض ربه . قال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه : (لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه رواه أبو داود . فما دام يغنى عنكم العقل عن النقل في صفات الله تعالى بل ويقدم عليه فيه فمن باب أولى أن يغنى في غيره . فإذا كان الأمر كذلك فلماذا أرسلنا الرسول إلى العقلاء ؟ ولم أنزل الكتب على الرسول صلوات الله عليهم ؟ . وهم أعقل العباد وأرشدهم . أكانوا يرشدون العباد بعقولهم السكاملة بدون وحى . ولماذا يقول سبحانه وتعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم » ويقول تعالى « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون » فأى فائدة يزدادها العقلاء بالبيان ما دام كل ذى عقل مستغنيا بعقله عن الذكر بل ومقدما على الذكر . ولماذا جعل الله عذرا للعقلاء عدم ارسال الرسل إليهم . بقوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فجعل ارسال الرسل قاطعا لعذرهم دون العقل . وقال تعالى « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وقال « ألم يأتكم نذير » ولم يقل ألم نرزقكم العقل . وألم تكونوا عقلاء ويحجهم بعقولهم . وأيضا لو يغنى العقل عن النقل فلماذا يقول العقلاء حين يرون العذاب والهلاك . « لولا أرسلنا إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى » ولم يقولوا لولا رزقنا العقل فنتبع إلى آخره . إلا أن تقولوا : القائلون هذا القول هم من لا عقل لهم فأقول المجنون ونحوه مرفوع عنهم القلم . قال النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل . رواه أحمد وقال في الحديث الطويل . (وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك

أنزل الكتب وأرسل الرسل). رواه مسلم. فجعل سبحانه وتعالى إرسال الرسل حجة على العقلاء وعدم إرسال الرسل عذرا لهم. ثم اعلم أن العقل لا يصلح أن يكون حجة لازمة على كل واحد لأن العقول تختلف اختلافًا كثيرًا أكثر من اختلاف الآلسنة والألوان وليس لها ضابط يضبطها ولا هي محصورة في نوع واحد لتتوحد. ترى عقل زيد يستحسن أشياء وعقل بكر يستقبح ذلك. وما من أمة إلا ولها عقل يخالف عقل أمة أخرى فلذلك نشأت أديان المتعبدین بالعقول وخالفوا الرسل والمنقول. وكانت لقریش عقليات. وقالوا أجعل الآلهة إلها وحدا، أنكرت عقولهم أن يكون إله واحد. والله تعالى يقول (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وكانت لليهود والنصارى عقليات. وترى كل واحد منهم يستقبح دين الآخر (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) وكانت للفرس عقليات. وللبجوس عقليات. والحاصل أن كل فريق منهم يسفه عقل الفريق الآخر ودينه. وأهل كل زمان لهم عقول خلاف عقل من سلفهم وهلم جرا من أمثال هذا. وترى بعض الذين اقتدوا بعقولهم ينكح المحارم. وبعضهم يحرم نكاح الأقارب فضلا عن المحارم. وهذا شأن العقل. قال تعالى «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» وكان أكمل الناس عقلا أصحاب رسول الله. ولم يعارضوا به به النصوص الشرعية بل كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية. ومن ذلك لما حدث عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: بقوله (إن الحياء خير كله) فعارضه المعارض بقوله إن منه وقاراً ومنه ضعفاً. فاشتد غضب عمران بن حصين وقال: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقول منه كذا ومنه كذا. وظن أن المعارض زنديق. فقيل له يا أبا نجيح

لابأس به . ذكره ابن القيم في الصواعق . ونحو هذا أكثر من أن يحصى
ومعلوم فلا نشغل بذكره . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الناس
عقلا على الإطلاق . فلو وزن عقله بعقول من في الأرض لرجحها ومع
ذلك أخبر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنه قبل الوحي لم يدر ما الكتاب
ولا الإيمان . قال تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولاكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من
عبادنا » فإذا كان عقل العباد ما كان يدرى ويدرك بعقله ما الكتاب وما الإيمان
فكيف يحصل لسفهاء العقول الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم
الأفلاطونية بدون نصوص الوحي ؟ حتى اهتدوا بتلك الهداية إلى معارضة
بين العقول ونصوص الأنبياء صلوات الله عليهم . قال الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم « قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي
إلى ربي انه سميع قريب » فجعل سبحانه وتعالى الهداية منه بالوحي لا كما
تزعمون أتم ان العقل يهدي السبيل « لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات
يتفطرن منه وتتشق الأرض وتخر الجبال هدا » وقد أحسن القائل :

حاشا النصوص من الذى رميت به من فرقة التعطيل والتمويه
كلا ولارد النصوص تعمدا حذرا من التجسيم والتشبيه
وأما قولك معنى استوى واستولى واحد هذه اللغة خاصة بك وبأمثالك
لم تسبقوا بها وأهل اللغة ينكرون عليكم ذلك . ويقولون لم يوجد ذلك فى
كتب اللغة لافى القاموس ونحوه ولا فى دواوين العرب . وقد سئل ابن
الأعرابي هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى . فقال لم تعرف ذلك
العرب وهو من اكابر أئمة اللغة .

وأما قولك انه مذهب جمهور علماء الخلف خطأ بين لأن العلماء لا تعدد

أهل الكلام من حزبهم . قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم . اجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزينغ ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء وإنما العلماء أهل اثر والتفقه فيه . قال الخلفي بل قد جاء استوى بمعنى استولى وقهر ومنه قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولادم مہراق

قال السلفي : وعلى فرض نقل بيت الشعر لا يكون ذلك حجة ودليلا على ما تدعيه . لأجل أن بشر لم يكن مستوليا وملكاً على العراق بل المستولى والملك عليه أخوه عبد الملك بن مروان وبشر كان نائباً عنه عليها ولم يكن ينازع أخاه في ملك . فعلى هذا يكون معنى البيت أن صح نقله عبارة عن الجلوس على كرسي الملك بالنيابة كما هي عادة النواب . والذي أردت أن تفر منه وقعت فيه . وبحثي معك فيه الآن باعتبار اللغة . وأما من جهة الشارع والسلف الصالح فلم ينقل عنهم تأويل الاستواء ولم يتصل بنا بتاتا فضلا عن أن يوجبوه بل كانوا يكرهونه أشد الكراهية . قال حنبل قلت لأبي عبد الله ما معنى قوله تعالى « وهو معكم » ؟ قال علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد وقال أيضا رحمه الله . أنه لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تسكاد ترى أحدا نظرا في الكلام الا وفي قلبه دغل (الدغل محركة فساد وريية) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم . وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي يوم ناظر حفص الفرد قال لي يا أبا موسى لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام . لقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه . ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم . وذكر عنه أيضا . أنه أوصى أنه يشهد أن لا الله إلا الله وحده لا شريك له فذكر الوصية إلى أن قال وأنه تعالى فوق عرشه . ذكره الحاكم والبيهقي في مناقب

الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أيضا التي أنا عليها ورأيت أهل الحديث عليها مثل سفیان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال وإن الله فوق عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء ذكره الحافظ عبد الغنى في كتاب اعتقاد الشافعي . وقال أبو مطيع الحكيم بن عبد الله البلخي سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربى في السماء أم في الأرض قال قد كفر . لأن الله تعالى يقول « الرحمن على العرش استوى » وعرشه فوق سبع سماوات . وذكر ابن أبي خيثمة قال حدثنا محمد بن شجاع البلخي قال سمعت الحسن بن زياد اللؤلؤي وقال له رجل في زفر بن الهذيل أكان ينظر في الكلام ؟ فقال سبحان الله ما أحقك . ما أدركت مشيختما زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة ومن جالسناه وأخذنا عنه يهمهم غير الفقه والافتداء بمن تقدمهم . ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم . وصح عن عبد الله بن المبارك أنه قيل له بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية إنه هاهنا يعني الأرض . وصح عن الإمام محمد بن اسحاق بن خزيمة أنه قال . من لم يؤمن بأن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . وجب استتابته فان تاب ولا ضربت عنقه وطرح في المزبلة . رواه الحاكم عنه في علوم الحديث والتاريخ . وقصة أبي يوسف مشهورة في استتابته لبشر المريسي لما أنكر أن يسكن الله فوق عرشه . رواه عبد الرحمن بن حاتم وغيره . وقال مالك : الله في السماء وعلمه في كل مكان . ذكره الطائفة وابن عبد البر وغيرهما وذكر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وقدرونا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومعمّر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا : أمرها كما جاءت . نحو حديث التنزيل وحديث أن الله خلق

آدم على صورته وأنه يدخل قدمه في جهنم وما كان مثل هذه الأحاديث .
قال منداد المصرى المالكي : قال في كتاب الايجارات من كتابه في الخلاف
قال مالك لا تجوز الايجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم .
وذكر كتبنا ثم قال وكتب أهل الأهواء والبدع عن أصحابنا هي كتب اصحاب
الكلام من المعتزلة وغيرهم ويفسخ الايجار في ذلك وكذلك كتب القضاء
بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك . وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول
مالك لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء . قال وأهل الأهواء عند مالك
وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا
كان أو غير أشعري . ولا تقبل له شهادة في الاسلام أبدا ويهجر ويؤدب على
بدعته فان تمادى عليها استتيب منها . وقال مالك أرأيت إن جاء من هو اجل
أيدع دينه كل يوم لدين جديد . ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم . قال
أبو عمر ليس في الاعتقاد كله في صفات الله واسمائيه الا ما جاء منصوصا في
كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو أجمعت عليه الأمة
وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه . وكان
مالك بن أنس يقول الكلام في الدين اكرهه ولم يزل أهل بلدنا يسكروهونه
وينهون عنه نحو الكلام في رأى جهنم والقدر وكل ما أشبه ذلك ولا أحب الكلام
الافيميا تحته عمل فاما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب الى لاني
رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين الافيميا تحته عمل . قال أبو عمر قد بين
مالك رحمه الله أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده وعند أهل بلده
يعنى العلماء منهم وأخبر أن الكلام في الدين نحو القول في صفات الله وأسمائه
وضرب مثلا : فقال نحو قول جهنم والقدر قال ابن عبد البر والذي قاله مالك
رحمه الله . عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديما وحديثا من أهل الحديث والفتوى

وإنما خالف ذلك أهل البدع . قال الشوكاني في فتح القدير : أخرج اللالكائي عن مالك أن رجلا سأله كيف استوى على العرش ؟ فقال السكيف غير معقول . والاستواء غير مجهول واليمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، فهل ترى أن مالهكا ونحوه ومن كان قبلهم من السلف الصالح كانوا يحملون أمر دينهم ؟ أم لم تكن لهم عقول يدركون بها ما أدركتم . فعجزوا عن التأويل لذلك . وكانوا يدفعون السائل بنحو ماسلف تخلصا منه . أم كانوا عالمين بالتأويل وفضله ولكن قصروا عما هو واجب عليهم أن يبينوه للأمة حتى جثم أنتم وأرشدتموها أو على الأصح أضللتتموها . وأيضا يلزم من تأويلكم استوى باستولى وقهر وغلب أن الله سبحانه وتعالى كان له منازع ينازعه حتى غلبه سبحانه وتعالى كما هو صفته أنه غالب على كل شيء ثم إن المنازع المغلوب ما يخلو إما أن يكون نفس العرش أو بعض خلقه غير العرش واعترفت أن السكلك خلق وعبيد له ولا قدرة لهم ينازعون بها خالقهم سبحانه وتعالى . أو إلهـا آخر غيره وأيضا اعترفت أن لا إله إلا هو سبحانه وتعالى . قال تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فما دمت معترفا أن لا إله إلا هو وكل شيء عبيد له ولا قدرة للعبيد ينازعون بها خالقهم سبحانه ظهر لك بطلان تأويلك وأصبح لا معنى له إلا أن تقول إنه إعلام من الله لعبيده بأنه غلب على عرشه فأقول أيضا إنهم لم يزدادوا به علما لعلهم أن ربهم غالب على كل شيء ولا يثوده شيء وأنه إله العالمين والعرش من جملة العالم وأيضا من المعلوم لغة وعرفا لا يقال استولى على الشيء إلا لمن كان غير متمكن منه . ثم تمكن منه . والله سبحانه وتعالى كل شيء خلقه وتحت تصرفه من قبل ومن بعد . والحاصل أوقعت نفسك في العناء . ورجعت بخفي حنين وغير سالم أنظر واسمع إلى أسف من اتبع العقلاء مخالفًا لله ولرسله (٢) تحكيم الناظر)

صلوات الله عليهم . قال تعالى : يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، حين عاينوا تأويل ما جاءت به الرسل اعترفوا بأن ساداتهم وكبراءهم أرباب العقول أضلوهم بعقولهم عن السبيل وتمنوا ليتهم اتبعوا الرسل . قال تعالى : ويوم يعرض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ، وقال تعالى : ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ، إلى آخر الآية هذه ثمرة تقديم العقل على ما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم وأما اتباع الرسل فلم يندموا لاتباعهم الرسل بل يحمدون الله . قال تعالى : وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، الآية .

قال الخلفي : هؤلاء الذين يندمون على ما صنعوا من طاعة ساداتهم وكبرائهم لم يؤمنوا بالأنبياء أما نحن فمؤمنون بهم . فاستدللك على المسلمين بما نزل على الكفار استدلال خاطئ وقياس مع الفارق . قال السلفي : يقتضى الإيمان بالأنبياء اتباع ما جاءوا به مطلقا سواء فيما وافق العقل . أم لا . وأما من يقول تتبعهم فيما وافق العقل ونخالفهم فيما خالف العقل هذا مؤمن بالبعض وكافر بالبعض وبالحقيقة هو مؤمن بالعقل دون النقل حيث جعل التعويل على العقل دون النقل . فأصبح عندكم

الأصل العقل . فإذا كان الأمر كذلك فما أنتمهم ببعيد حيث لم تعملوا بشيء مما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم . إلا باعتبار موافقة العقل ولم تطبقوا القول بالفعل وقد أحسن القائل :

القول ما صدقه الفعل والفعل ما صدقه القول

قال تعالى « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

قال الخلقى : ماذا تقول أنت فى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى »

قال السلفى : أقول كما قال الله تعالى وقال رسوله صلى الله عليه وسلم .

والسلف الصالح : إنه على عرشه بائن من خلقه بدون تكيف وتمثيل بأحد

من خلقه غنى عن العرش فما دونه وكل شيء فقير إليه ولا يحيط به عرشه

سبحانه وتعالى . وقد ثبت أنه على عرشه فى سمائه بالآيات القرآنية

والأحاديث النبوية التى لا عداد لها . ولا يحفلها ويردها إلا من جهل الكتاب

والسنة وإن لقب عالما . لأنه فى الحقيقة جاهل لجهله بكتاب ربه وسنة

نبيه صلى الله عليه وسلم وإذ لا يدعى شرعا غيرهما علما . كما قال عبد الله بن

عمر بن الخطاب رضى الله عنهما (العلم ثلاثة أشياء : كتاب ناطق ، وسنة

ماضية . ولا أدرى) أو يعلمهما ولكن مكابر للحق لتقوية ما يهواه . أو أى

لا يعلم شيئا إلا أمانيه إنما ينطق تبعا لغيره كالفروج يصيح تبعا للديكة . قال

تعالى « ومن أصدق من الله قيلا » إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض

فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقال « تنزيلا من خلق الأرض

والسموات العلى الرحمن على العرش استوى » وقال « الذى خلق السموات

والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن » وقال « ثم

استوى إلى السماء وهى دخان » وقال « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع

سموات » وقال « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه » وقال « إليه

يصعد اليك الطيب ، وقال « إن متوفيك ورافعك إلى ، وقال « وما قتلوله
يقينا بل رفعه الله إليه ، وقال في الملائكة « يخافون ربهم من فوقهم ، وقال
« ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه » وقال (ياها مان ابن لى صرحا
لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وأنى لأظنه كاذبا)
إلى آخر ما فى القرآن العظيم مما بهذا المعنى . ذكر سبحانه وتعالى الاستواء
والعلو وأنه فى السماء فى القرآن فى مواضع كثيرة كما ترى . ولم يذكر فيها
فى موضع واحد منها ما يخالف الحقيقة اللغوية . وأيضا لم يبين ما يخالف
ذلك نبيه الذى أرسله رحمة للعالمين . وقال تعالى (لتبين للناس ما نزل إليهم)
إذ هو مأمور بتبليغ المعنى كما أمر بتبليغ اللفظ . بل المعنى أهم من اللفظ
حيث هو المقصود من اللفظ . اللفظ كالاسم . والمعنى كالمسمى . فاذا قلت
زيد لم تقصد الحروف التى هى ذى . ويا . ودال . بل تعنى الشخص المسمى
بزيد . فغير ممكن شرعا وعقلا أن يكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أمته ما هو أصل الإيمان وغاية المعرفة . ويعلمهم أمر دنياهم والعاديات
ويبالغ فى ذلك حتى قالت أعداؤه كفار قريش لسلطان الفارسية رضى
الله عنه . إنا نرى صاحبكم يعلمكم حتى الخرافة . فقال لهم . (أجل . لقد
نهانا أن يستمعى أحدنا يمينه أو يستقبل القبلة بغائط أو بول) أخرجه
مالك وأبو داود والترمذى والنسائى . ومما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى ذلك حديث عن أبى رزين العقيلي . قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض (قال كان
فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش ثم استوى عليه)
رواه أبو داود وابن ماجه واسناده حسن . وعن إبراهيم التيمي عن أبيه
عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اندرى

أين تغرب هذه الشمس . قلت الله أعلم ورسوله . صلى الله عليه وسلم قال . فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش عند ربه . (رواه البخارى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش ان ربحى سبقت غضبى) اخرجه الترمذى والشيخان . وعن معاوية بن الحكم السليمى قال كانت لى غنم بين احد والجويينة فيها جارية لى فاطمعتها ذات يوم فاذا ذئب قد ذهب منها بشاة وانا رجل من بنى آدم فاسفت فصككتها فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فعظم ذلك على فقلت يا رسول الله افلا اعتقها . قال . ادعها . فدعوتها (فقال لها . اين الله ؟ قالت فى السماء . قال . من انا ؟ قالت انت رسول الله . قال : اعتقها فانها مؤمنة) حديث صحيح . رواه جماعة واخرجه مسلم وابو داود والنسائى وغير واحد من أئمة الحديث بالفاظ مختلفة متحدة المعنى . انظر بعينى قلبك واعتبر ان كنت ذا بصيرة . أولا . الى سؤال النبى صلى الله عليه وسلم للجارية بأين الله ثم اقراره اياها حين قالت انه فى السماء ، ثم جعل منها علامة دالة على محض الايمان . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار . ويجتمعون فى صلاة العصر ثم يعرجون اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون أتيناهم يصلون وتركناهم يصلون) متفق عليه . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء) اخرجه ابو داود والترمذى وصححه . وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه وسلم (ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام

يخفض القسط ويرفعه . ويرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل (متفق عليه . وحديث الاسراء الطويل المعروف المتفق عليه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج به من البيت المقدس إلى السموات . ووجد في كل سماء نبيا ووجد في السادسة موسى عليه السلام . وفي السابعة ابراهيم عليه السلام . ثم رفع إلى سدرة المنتهى . وكان يتردد بين موسى وربه لخفض الصلوات حتى رجعت من خمسين إلى خمس (والحاصل أن الآيات والأحاديث صريحة . بأن الله في السماء دون الأرض . ولكن لا يعقلها إلا من له قلب سليم ولم يتخذ قيل وقال ديناً . وقد أمرها السلف الصالح على ظاهرها معتقدين بأن الله على عرشه كما أخبر وأخبر نبيه الذي هو أعلم العباد به . وكان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يذكرون بين يديه ان الله فوق عرشه نثرا وشعرا ومن ذلك كانت زينب رضى الله عنها تقول للنبي (زوجنيك الرحمن من فوق عرشه) أخرجه البخاري . وعن أبي حيان عن أبي حبيب بن أبي ثابت ان حسان بن ثابت انشد النبي صلى الله عليه وسلم

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

وجاء في حديث عبد الله بن رواحة الذي صححه ابن عبد البر وغيره

وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

وهذه الفوقية هي تفسير الاستواء المذكور في القرآن والسنة المطهرة

وهذه الآثار قد أقرها النبي صلى الله عليه وسلم كما ترى ولم ينكر عليهم وعدم

انكاره دليل التشريع . وان ما قالوه حق . اذ شرعه ثلاثة : قول ،

وفعل ، واقرار . ولو كانت هذه الألفاظ غير معنية حقيقتها . وحققا أن

تؤول على خلاف ظاهرها لبين لهم المراد منها ولم يقرهم على الباطل . إذ هو

مأمور بالبيان كما سبق آنفا وهو أرحم بأمته من أنفسهم من ان يقرهم على

الخطأ . ولو كان في التأويل خير لسبقتنا اليه الصحابة رضوان الله عليهم . فما من حسنة الا وقد سبقونا اليها . وكل من زعم انه اتى بحسنة على خلاف ما كانوا عليه فحسنته سيئة وهو ضال مضل مخطيء السبيل كائنا من كان . لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة . قالوا من هي ؟ قال . من على ما انا عليه واصحابي) رواه الترمذي وهذا الجزء الأخير من الحديث الذي ذكرته بأكمله في أول الصفحة : ولو فرضنا أن الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا في كتابه العزيز أنه على عرشه واختلقت العباد بمحض العقول بأين الله قال بعضهم . إنه في السماء وهي سكنى الملائكة وأيضا اشراف الناس يسكنون العلويات من المساكن في الغالب وقال البعض الآخر . لا بل إنه في الأرض في كل مكان منها وهي سكنى الإنس والجن . وفيها الحمامات والمجازر والسكنائف والمراحيض . ومثل هذه الأماكن لاتليق لسكنى اخبث شخص انسى ولايرضى بها : فهل ترى من نزه الله سبحانه وتعالى . من قال منهم إنه في السماء . أم من قال منهم إنه في الأرض في كل مكان منها . ومن جملة ذلك الأماكن المذكورة : تعالى الله عما تصفون أترضون لربكم ما لا ترضون لأنفسكم . إن هذا شيء عظيم .

قال الخلفي : إذا ما تقول في قوله تعالى (وهو محكم)

قال السلفي : نعم إنه معنا بمعنى هو أعلم بها كما قال الشافعي فيما سلف . يقرب من خلقه كيف يشاء ويجوز لي أيضا أن أقول كما قال بعض السلف إنه مع عباده بعلمه وهو بائن من خلقه .

قال الخلفي : انسكرت على التأويل . وأولت . عار عليك أن تنه عن خلق وتأتى مثله . فعليه صرنا نحن وانتم سواء في التأويل وانتهى النزاع بيننا قال السلفي : لست سواء أنا وانت شتان بين متبع ومبتدع . أنت مبتدع غير

متبع . بل مقتد بمحض عقلك وسلفك فيه ابليس كما سبق أنفا قال تعالى
 « أفن كان على بينة من ربه كن زينا له سوء عمله واتبعوا أهواءهم » وقال
 تعالى « ومن أضل ممن اتبع هواه » ، وأما أنا فن فضل الله على أنى مقتد بكتاب
 الله تعالى . وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . والسلف الصالح الذين وصلنا الدين
 بهم . ولازمنا اتباعهم . سلمت حيثما اسلموا . وأولت حيث ما أولوا متبعا
 لهم غير مبتدع . وقد جاء عنهم بنقل صحيح تفسير الآية « وهو معكم » أنه
 بعلمه مع عباده . عن حبر الأمة ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس
 رضى الله عنهما الذى دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يفقهه الله فى
 الدين . ويعلمه التأويل . أى التفسير . وقد نقل عن بعض أهل العلم أن تفسير
 الصحابي بمنزلة الحديث المرفوع . ومنهم أبو عبد الله الحاكم قال فى مستدركه .
 تفسير الصحابي عندنا فى حكم المرفوع . فحسب من الأدلة إلى هنا لمن له قلب سليم .
 قال السلفى : ما نقول فى قوله تعالى « إليه يصعد الكلم الطيب » ، وقوله وذى
 المعارج تعرج الملائكة والروح إليه ، وقوله « ويبقى وجه ربك » ، وما فى معنى
 هذا : وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله خلق آدم على صورته) إلى آخر
 ما جاء بمعنى هذا فى السنة ؟

قال الحافى : أقول كما قال علماء الخلف : قال العلامة سعد الدين التفتازانى
 فى شرحه على عقيدة النسفى ص ٧٤ أما معنى صعود الكلم الطيب إليه كونه
 مقبولا عنده . ومعنى عروج الملائكة إليه . عروجهم إلى موضع يتقرب إليه
 بالطاعة . ومعنى « يبقى وجه ربك » ذاتى . ومعنى يد الله . قدرته ، ومعنى
 « على عيني » أى بمر أى منى أى بعلى وحفظى . ومعنى اتيان الرب سبحانه
 وتعالى اتيان أمره أو عذابه . ومعنى خلق آدم على صورته . أى على صفاته
 من العلم والقدرة والإرادة وغير ذلك .

قال السلفي : لما اذا أولت الآيات والحديث وما الدليل عليه وما حملك على التأويل ؟

قال الخافى : هكذا قال علماء الخلف تنزيها لله سبحانه وتعالى ولئلا يوصف سبحانه وتعالى بصفات المخلوق ويشبه بهم كتشبيهكم .

قال السلفي : التنزيه يكون بالتصديق والتسليم بدون معارضة بالتأويل والتعطيل . ولا يكون بالكذب والتعطيل كما تصنعون انتم . اخبر سبحانه وتعالى أنه في سمائه على عرشه . فقلتم لا . واخبر أن له وجها فقلتم لا . واخبر أن له يدا فقلتم لا . واخبر أن له عينا فقلتم لا . واخبر نبيه صلى الله عليه وسلم . أنه ينزل إلى سماء الدنيا فقلتم لا . واخبر أن له قدما فقلتم لا . واخبر أنه يرضى ويغضب فقلتم لا . واخبر أنه يضحك فقلتم لا . فالحاصل عارضتموه في جميع صفاته . ووصفتموه من عند أنفسكم بصفات خيالية . فهل عندكم من علم بذلك فتخرجوه لنا يشهد لكم على ما ادعيتموه . فهل في استطاعتكم أن تحلفوا أن الله موصوف بما ذكرتموه . أم أنكم قوم تظنون وما أنتم بمستيقنين والظن لا يغني عن الحق شيئا . كبر مقتا أن تقولوا على الله ما لا تملون . قال تعالى « الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » وقال « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه » وأما ما نسبته إلينا بأننا نشبه الخالق بالمخلوق فهو بهت منك ومن أمثالك . بل هو وليدة فهمكم العاقل لما علمتموه منا بأننا نؤمن ونصدق بصفات الله كما جاءت بغير تأويل ولا تعطيل . فقلتم بفهمكم السقيم يلزم من التسليم التشبيه ، لسوء فهمكم ولو وجد على سبيل الفرض في الأمانة الحمدية من يشبه الخالق بالمخلوق لكان ذلك المشبه أقل شرا وخطأ منكم . لأنه يؤمن

بصفات الله تعالى . ويثبت ما أثبت الله تعالى لنفسه إلا أنه أخطأ في تشبيهه
بالمخلوق وهو أهون من السلب والتعطيل ، وأما أنتم فأبطلتم صفاته سبحانه
وتعالى بتاتا ، زاعمين أن ما وصفتموه به أكمل مما وصف به نفسه لتكملوا
الدين بذلك . ولا شك أنه واف كامل . لقول النبي صلى الله عليه وسلم
(تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها) وقال تعالى « اليوم أكملت لكم
دينكم » وقال « لا تبديل لكلمات الله » والزيادة والنقصان من التبديل .
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (تركتكم على الواضحة) فهل ترى مثل
هذا يقال لمن هو مفتقر إلى معرفة أصل دينه كما تزعمون . أم يقال لمن كمل
له دينه . بل يقال لمن كمل له دينه غاية السكال صدق الله وصدق رسوله ،
وهل سكت المنتفعة .

قال الخلفى : ما تقول أنت في الآيات والأحاديث التي أنكرت على تأويلها
قال السلفى : أو من بها كما جاءت ، وأفرض علم حقائقها إلى عالمها سبحانه
وتعالى وكل ما يخطر من ذلك في قلب البشر فإنه شر ، فالله خلاف ذلك ليس
كمثله شيء كما أخبر . ولو علم سبحانه وتعالى بأن نصوص صفاته تفيد ما يوهم
النقص في حقه كما تزعمون لما أنزلها في كتابه العزيز . كيف ينزلها وهو
لا يرضى نقضا لنفسه ولا كفرا لعباده . لما رواه مسلم والبخارى بمعناه عن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس أحد أحب إليه المدح
من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أعير من الله من أجل ذلك
حرم الفواحش) فغير معقول من هذا صفة أن يصف نفسه بما يوهم نقضا
في حقه . بل يصف نفسه بما يفيد السكال ويرفع الوهم قال تعالى « ليس كمثله
شيء » لكي لا تخوض العباد فيما لا يعلمون ، ويسلموا تسليما . ومع ذلك لم
تقنعوا . وخضتم فيما لا تعلمون وحكمت عقولكم الخاسئة ، وسلبتم صفاته

لتحسنوا صنعا . فمن أبعد عن الهدى من الضال المفسد يظن أنه يحسن صنعا وأهدى سبيلا . قال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وهو يدعى إلى الإسلام » ، فالحاصل ظننتم أنكم أعلم بالله وبما يليق به منه ومن رسوله الذي هو أعلم العباد به ومن السلف الصالح مع أن أحدكم لا يستطيع أن يعلم من دينته ما وارى منها جلده . ولا يعلم طول عمره صفة ظهره إلا أن يقيسه على ظهر غيره فالعاجز عن معرفة نفسه كيف يدعى أنه يعلم صفة خالقه الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، « وليس كمثله شيء » ، ليقاس عليه إن هذا لشيء عجيب وبهتان مبين وظننتم أنكم أتيتم بما عجزت عنه الأوائل . قال الخلفي : إنى لم أنكر مذهب السلف بل أعترف به وأنه أسلم ولكن مذهب الخلف أحكم ولذلك اخترته .

قال السلفي : الحمد لله الذي اعترفت أن مذهب السلف أسلم فما لغيره سالم إلا الهلاك ومن أين لك أن له الإحكام والقوة . بل له الضعف والهون والهلاك الشيء الواحد لا يخلو من أحسن الأمرين إما أن يكون سالما أو غير سالم لا ثالث لهما .

قال السلفي : أيضا . فما دمت تعلمون أن مذهب السلف حق وهو أسلم فما الذي حملكم على التأويل !

قال الخلفي : السبب الذي حمل الخلف على التأويل هو ما ذكره سعد الدين التفتازاني في شرح عقيدة النسفي ص ١١ « ما هذا نصه . وقد كانت الأوائل من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم . وقرب العهد بزمانه ولقطة الوقائع والاختلافات . وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين العليين وترتيبهما أبو ابا وفصولا وتقرير مقاصدهما فروعا وأصولا إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين

وغلب البغى على أئمة الدين ، وظهر اختلاف الآراء ، والميل إلى البدع والأهواء ، وكثرت الفتاوى والواقعات ، والرجوع إلى العلماء فى المهمات ، فاشتغلوا بالنظر والاجتهاد والاستدلال والاستنباط وتمهيد القواعد .

قال السلفى : هل ترى عقائدكم هذه التى تقولون أحدثتموها لغلبة أهل البغى على أهل الحق . أم أحدثتموها لتهدوا بها أهل البغى إلى الحق وعقائد السلف . أم أحدثتموها لتكون عقائد دينية عقلية بدلا من عقائد السلف . أم لمجرد الدفع عن الحق وعقائد السلف لى لا تضل العوام بكلامهم . فان قلت بالأول أقول فهلا جادلتموهم بكتاب الله تعالى الذى أنزله هدى للناس المعجز لآلسن العباد وفيه تبيان لكل شىء وهو يهتدى السبيل ، وفيه حجة قاطعة ، وسهم راصد لكل باغ فى كل زمان وحين كما جاء ذلك فى الحديث الذى رواه أبو هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) أخرجه الشيخان . فان قلت بالثانى . أقول كذبتم دعواكم أنكم تدفعون أهل البغى عن أئمة المسلمين ، واعترفتم أنكم ابتدعتم ديننا فان قلت بالثالث أنكم فعلتم ذلك لئلا تضل العوام بكلامهم ، فأقول الآن ما تروونه أنتم دفعا بل تروونه عقائد دينية هى أفضل من عقائد السلف الصالح مع أن الوقوع فى المحذور بالاضطرار ينتهى بانتهاء ما اضطر إليه وأما أنتم فقد جعلتموه ديننا يتقرب به إلى الله وحكما ناسخا للحكم المشروع فصرتم تضللون به من تمسك بعقائد السلف الصالح . وتحاربونهم ما استطعتم . ولم يذنبوا سوى أنهم تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم الذين تزعمون أنكم تذبون عنهم . وتناون عنهما من حيث لا تدرون .

قال الخلق معتذراً للخلف : القوم الذين كانوا يناظرهم الخلف ما كانوا يقبلون الأدلة العقلية ولا ينقادون لها فلذلك اضطر علماء الخلف إلى الأدلة العقلية .

قال السلفي : كان النبي صلى الله عليه وسلم . يدعو مشركي العرب بالكتاب ولم يدعهم بالعقليات مع أنه أكمل الناس عقلاً وهم لم يكونوا أهل الكتاب ولا يدرون ما الكتاب وما الوحي . بل كانوا أهل الأوثان يجادلون عنها بعقولهم وقد أوتوا الجدل الوافر . ومع ذلك لم يجادلهم النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالوحي حتى هداهم الله به . وسائر الأمم أيضاً لم يدعهم إلا بالوحي . ولا شك أن من لم ينقد بالكتاب والسنة . ويهتد بهما فإن ينقاد ويهتدى بعقول العباد . وقد ذكر أن بعض عمال عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمر بحال بلده . وكثرة لصوصه ، هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت به السنة . فكتب إليه : خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة . فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . ذكره القاضي عياض في شفاؤه فن مجادلته لهم بمحض عقولكم . وترك المجادلة بالكتاب والسنة . تبين أنكم لم تقصدوا هدايتهم إلى الحق وعقائد السلف إنما أردتم أن تنقلوهم من باطلهم إلى باطلكم بعقولكم فلم عقولكم عقولكم . وخرجتم بمثل ما خرجوا به . وصرتم إخواناً في تحكيم العقل على النقل . والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

الجلسة الثانية في بحث التوسل

قال السلفي : ما تقول في التوسل بأهل الصلاح والفضل مثل سيدنا عبد القادر . بنحو اللهم إني أسألك بجاه عبد القادر وبحرمة عبد القادر أن ترزقني الذرية وتعافيني من البلية ونحو ذلك ؟

قال الخلفي : هذا جائز عندنا بل مرغّب فيه لأن أعمالنا قاصرة فتوسل إلى الله بأوليائه كما نتوسل إلى الملوك بأهل ودهم لتقضى حاجتنا .

قال السلفي : هذا قياس فما الدليل على ما ادعيته وليس كل قياس على الصواب .

قال الخلفي : الدليل عليه ما روى (إذا سألتهم الله فسلوه بجاهي فان جاهي عند الله عظيم) ثانيا الحديث الذي يروى ان آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة وجرى ماجرى استشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم . فقال يا آدم كيف عرفت محمدا صلى الله عليه وسلم . ولم اخلقه بعد . قال لما نفخت في الروح رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت أنك لم تضاف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال صدقت يا آدم انه لأحب الحق الى . وإذا سألتني به فقد غفرت لك . ولولا محمد ما خلقتك وهو آخر الأنبياء من ذريتك . ثالثا . قد جاء ان نوحا وادريس وموسى وجماعة من الأنبياء توسلوا به . رابعا . حديث الأعمى الذي قال : (اللهم إني أسألك واتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني اتوجه بك إلى ربي في حاجتي) . خامسا . استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنهما قال عمر (اللهم انا كننا إذا جد بنا نتوسل إليك بنينا فقسقينا

وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا . فيسقون) وجاء عن المشايخ في هذا الباب ما لا يحصى .

قال السلفي : أما قياسك الطالب من الخالق العلام الغيوب العدل الرحيم بالطالب من الملوك الظلمة فقياس مع الفارق كقياس الميت على الحي بل اضعف من ذلك . قال تعالى « فلا تضربوا لله الأمثال » قالت العلماء : أى لا تقيسوا أعمالكم به . أولا . سبحانه وتعالى سميع عليم رحيم كريم يعلم بحاجة عبده وهى فى نفسه قبل أن ينطق بها كما قال تعالى « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » وقال مخبرا بقول عيسى عليه السلام « تعلم ما فى نفسى » والملوك لا يعلمون بحاجة من غاب عنهم . والوصول إليهم متعسر . وخصوصا على الضعاف لأنهم محجوبون عنهم بآرباب الدولة فيحتاجون إلى واسطة يخبر لهم المملك بحاجتهم . ويشفع لهم لتجأحها . ثانيا . الله سبحانه وتعالى لم يجعل وسائط من العباد بينه وبين من يدعو من عباده بل أمر فقال « ادعوني أستجب لكم » وهو سبحانه يحب طلب عبده منه والحاحه بالطلب . لما أخرجه الترمذى . عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يسأل الله يغضب عليه) وأخرج الترمذى أيضا . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل) وقيل شعرا
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

والملوك بالعكس كما ترى . وأيضا قد يتأتى منهم الظلم فيحتاج العبد إلى من يشفع له لرفع المظلمة عنه « وماربك بظلام للعبيد » وقد يقبل الملوك شفاعة الشافعين خوفا منهم على ملكهم « والله فعال لما يريد » ولا يخاف عقباها . وأما استدلالك بالحديث — إذا سألت الله فسلوه بجاهى إلى آخره — قال محي السنة العلامة ابن تيمية فى الرد على البكرى — فهو كذب موضوع من

الأحاديث المشينات التي لازمام ولاخطام لها — كما قال الإمام أحمد : للناس أحاديث يتحدثون بها على أبواب دورهم ماسمعنا بشيء منها . انتهى كلام الشيخ ومثل أحاديثك هذه ما يروها إلا رجل لا يميز بين الصحيح وغيره كجمهور مصنفى السير . والأخبار . وقصص الأنبياء . وهؤلاء لم تكن لهم خبرة بالحديث ليميزوا بها بين الطيب والخبيث . ولم يكونوا خالى الذهن ليتجنبوا ما لا يعلمون بل يرغبون ان يجمعوا مادب وتدرج كمتطبب بالليل يحمل كل ذى جرم لا يفرق بين الأفعى والعود نصره لما يهرونه وتقوية لمذاهبهم العاطلة المحدثنة . ولو كان لهذه الأحاديث مصدر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لنواترت لدى أهل العلم تواترا لا يبق مع الخفاء لحاجة الناس اليه لأمر دينهم وديناهم . ولسبقنا اليه الصحابة رضوان الله عليهم . لرغبتهم فى اتباع سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم . ومع ذلك لم ينقل عن واحد منهم أنه توسل بالحديث المزعوم . لافى أمر دينهم ولاديناهم مع كثرة البلايا التي أصابتهم بعد وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . بل وفى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم خاضوا فى وقائع عظام . ولم ينقل عنهم أنهم توسلوا . منها وقعة بدر . قوبلوا فيها بجنود لا قبل لهم بها الا بنصرة من الله لهم ومنها أحد . والأحزاب . وحنين . وغير ذلك . وقد جاءت فى الأحاديث الصحاح أدعية عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا الفت فيها كتب كاذكار النووى وغيره ، ولم يرو فيها التوسل بتاتا لا بالألفاظ المزعومة ولا غيرها . وأما استدلالك ان نوحا وادريس وموسى وجماعة من الأنبياء توسلوا به فهو من جنس ما سبق آنفا . لأصل له عند علماء الحديث . قال محي السنة شيخ الإسلام ابن تيمية فى الرد على البكرى . لم ينقله أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا حسن . ولا ضعيف يستأنس به . انما نقل هذا

وأمثاله كما تنقل الاسرائيليات التي كانت في أهل الكتاب عن مسلبة أهل الكتاب . أو كتبهم ، ولم تكن في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها . إنما ذكر هذا وأمثاله من يجمع الموضوعات الكثيرة والأكاذيب العظيمة . مثل مصنف كتاب وسيلة المتعبدین الذي صنفه الشيخ عمر الموصلي ومثل تنقلات الأنوار للبركري . ومثل القاضي عياض بن موسى السبتي مع علمه وفضله ودينه أنكر عليه العلماء كثيرا لما ذكر في شفاؤه من الأحاديث والتفاسير التي يعلمون أنها من الموضوعات والمناكير مع أنه أحسن وأجاد فيه بما فيه من تعريف حقوق خير العباد . وفيه من الأحاديث الصحيحة والحسان ما يفرح به كل من عنده إيمان . انتهى كلام الشيخ . فالحاصل لم يكن أصل لأحاديثك ولا حديث ضعيف ، ولم يروها من يعبأ به من أهل الحديث . سوى القاضي عياض وقد علمت أنه روى وتساهل في بعض الأحاديث في شفاؤه فأنكرها عليه إخوانه علماء الحديث ولم يقدر ذلك في علمه وفضله المذكورين آنفا . وهو غير معصوم ومثل هذا يغمر في بحر حسناته رحمة الله عليه . وأما قولك إن آدم تيب عنه حين استشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فردود . بقوله تعالى « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا ، فآخبر سبحانه وتعالى انه تاب عليه عقب الكلمات . وهي قولهما « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » أو كلمات تشبهها . ذكر ذلك طائفة من المفسرين . ومن يقل غير هذا فلاحجة له به . وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة في هذه الكلمات أشياء كثيرة كلها تدور حول ما ذكر الله تعالى في كتابه من قول آدم وحواء (ربنا ظلمنا أنفسنا) . إلى آخره . ولا شك ان كل من تاب تاب الله عليه لمن هو دون آدم وذنبه أكبر من ذنب آدم بدون (٣ — تحكيم الناظر)

أى واسطة يوسطها بين يدي دعائه . لقوله تعالى « من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » وكذلك الحديث المتفق عليه . ان النبي صلى الله عليه وسلم . قال لعائشة رضى عنها في قصة الإفك (إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله . وتوبى اليه فان العبد إذا تاب واعترف بذنبه تاب الله عليه) ولم يأمرها أن تتوسل بجاهه . وهى أحب الناس اليه . ولم تتوسل به هى . وهو أحب الناس اليها كما هو معلوم لدى أهل الحديث . ولو كان التوسل بذاته مشروعا لعلمها اياه . ولو كان معلوما عندهم ومتعارفا لتوسلت به هى لما أصابها . وأيضا قعدة كعب بن مالك وصاحبيه معلومة . فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت . ومع ذلك لم ينقل عنهم انهم توسلوا به فإن قلتم لا بد لنا من أن نوسط وسائط يحبها الله . قلت فادعوه باسمائه كما شرع ولا شيء أحب واعظم اليه من اسمائه . قال تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وفى الدعاء الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني عبدك وابن عبدك ناصيتي بيدك إلى أن قال أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك إلى آخره وأما استدلالك بحديث الأعمى فليس لك فيه حجة ودليل . حيث ان الأعمى لم يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم انما توسل واستشفع بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو أمر مشروع معروف بدون خلاف بين أهل العلم . فإن الأعمى حين جاء عند النبي صلى الله عليه وسلم طالب منه أن يدعو الله له . ولم يطلب منه غير ذلك . ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يدعو هو أيضا بنفسه لنفسه مع دعائه له كما يدل على ذلك حديثه . وهذا هو بلفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم علم رجلا أن يقول اللهم إني أسألك واتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إني أتوسل بك إلى ربى فى حاجتى ليقضيهالى اللهم

فشفعه في . رواه الامام احمد والترمذى . والرواية الثانية التي في مسند
الامام احمد هي أوضح وأصرح من هذا . وهى هذه : (عن عثمان بن حنيف
ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال يا نبي الله أدع الله لى
أن يعافينى . فقال إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك . وإن شئت
دعوت لك) قال بل أدع الله لى فأمره أن يتوضأ . وأن يدعو بهذا
الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد بنى الرحمة يا محمد إني
أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه فتقضى لى اللهم فشفعنى فيه وشفعه فى . قال
ففعل الرجل فبرأ) وهذا يدل على أن الدعاء كان من الطرفين بأن الأعمى دعا
بنفسه لنفسه كما يدل عليه أمر النبي له بذلك وقوله . اللهم شفعه فى . والنبي دعا
له كما يدل عليه . وإن شئت دعوت . وقوله فشفعنى فيه . ومعنى الشفاعة معلوم
عرفا ولغة . وهو طلب المحبوب للشفع له . أو دفع المكره عنه . ومعلوم
أن ذلك لا يكون إلا بالفاظ كما جاء ذلك فى حديث الشفاعة الذى رواه أنس
رضى الله عنه : قال قال : رسول الله عليه وسلم (فيأتونى فأقول أنا لها فانطلق
فاستأذن على ربى فيأذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن
يلهمنيها الله ثم أخر لى ساجدا فيقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل
تعط واشفع تشفع فأقول يارب أمتى إلى آخر الحديث . أخرجه الشيخان
ولست أجادلك بأن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم هو أعظم قدرا فى حقه
من الشفاعة المذكورة بل قدر الشفاعة أعظم الا إني أقول : التوسل الذى
تعنيه لم يشرعه لنا بعد وفاته بل ولا قبل وفاته إلا التوسل بدعائه والدليل عليه
هو عدم توسل أصحابه به . فلو ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم لسبقناكم
إليه وكنا أسعد به منهم لأننا نفضل قوله على قول الآباء والمشايخ
وأما استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنهما فهو حجة لنا

لعدول عمر بن الخطاب عن رسول الله لوفاته إلى عمه العباس . وكان استسقاء
عمر بالعباس بدعاء العباس وهو حي حاضر كما يدل عليه ألفاظ عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه . وهذه هي (اللهم إنا كما إذا أجدبنا نتوسل إليك
بنبيينا . وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . فيسقون) فعدول عمر بن الخطاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى العباس يدل ويوضح بأن التوسل بالأموات
غير مشروع مهما بلغ الميت من القدر عند الله بل يعدل عنه إلى الحي وإن كان
أقل قدرا منه لعدول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
إلى عمه العباس رضى الله عنه ولو كان التوسل بالأموات مشروعاً كما تزعمون
لما عدل عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العباس
بتاتا ولا يفعله عاقل فضلا أن يفعله عمر بن الخطاب الملهم بالصواب الذى جعل
الله الحق فى لسانه ومن يعدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يعدل .
وقول عمر رضى الله عنه (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيينا إلى آخره) يفيد
ويشعر مفهوم قوله الذى كالأصريح كأنه يقول حيث فقدنا توسل نبينا
صلى الله عليه وسلم بوفاته فإيا الآن نتوسل إليك بعمه بدلا عنه لتسقيننا قرابته
وإلا لم يكن معنى لقول عمر (إنا كنا نتوسل إليك بنبيينا إلى آخره) والحاصل
أن التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ثابت فى حياته ولم يثبت التوسل به بعد
موته . بل توسل أصحابه بغيره بدون تكبير . ومنه توسل عمر المذكور
آنفا بالعباس . ومنه توسل معاوية بن أبى سفيان بيزيد بن الأسود قال
معاوية (إنا نستشفع أو نتوسل إليك بخيارنا . يازيد ارفع يديك . فرفع
يديه . ودعا للناس حتى سقوا) وهذه التوسلات الثلاثة كلها تدل أنها كانت
بالدعاء . فعدول عمر بن الخطاب ومعاوية عن التوسل برسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى التوسل بالعباس ويزيد وسكوت الصحابة رضوان الله عليهم

على ذلك هو أكبر حجة عليكم . وأظهر إجماع لأنهم قد أجمعوا عليه إجماعا
مكوثيا إذ لا يسكتون على الخطأ ولو كان التوسل بالأموات معلوما ومشروعا
لأنكروا عليهما ترك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم . والتوسل بغيره .
وغـير معقول أن يجمعوا على ترك التوسل بنبيهم . ويختاروا عنه توسل
العباس ويزيد . وهل تعلم في حياته أنهم اقتدوا في صلاتهم بغيره مع حضوره
أو توسلوا بغيره . طبعا ستقول لا . فمن هنا تعلم أنهم ما تركوا التوسل به إلا
لعدم شرعيته . كيف يمكن أن يتركوا من يحيش الميزاب لتوسله قبل نزوله من
المنبر ويختاروا غيره كما في البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال
(ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول صلى الله عليه وسلم
يستسقى فما ينزل حتى يحيش له ميزاب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه : ثمال اليتامى عصمة للأرامل .

وأما طلب الدعاء من أهل الخير والفضل والصلاح في حياتهم فأمر جائز
يجمع عليه بدون خلاف بين أهل العلم بل مرغّب فيه . ومنه قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه (يأتىكم أويس القرنى إن
استطعت أن يستغفر لك فافعل) ولم يأمره أن يتوسل به وهو غائب . وهذا
مختصر من الحديث الطويل وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم (هل تنصرون
وترزقون إلا بضغفائكم بدعائهم وصلاتهم واستغفارهم) فجعل الدعاء
والاستغفار هو سبب النصر والرزق . ولم يجعل التوسل بهم سبب النصر
والرزق . وقال تعالى (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) فجعل الدعاء هو الوسيلة بينه
وبين عباده بدون أى واسطة . والتوسل الحقيقى الذى لا ريب فيه وحرى
أن يستجاب به الدعاء . فضلا من الله . هو التوسل بصلاح الأعمال التى عملها
العبد قبل دعائه مخلصا لله . متبعا لما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم . كما توسل

بها أهل الغار الثلاثة الآتى ذكرهم . قال تعالى . (وابتغوا إليه الوسيلة) قال علماء التفسير أى بالتقوى والأعمال الصالحة . وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وقال (إن اكرمكم عند الله أتقاكم) وينبغى للعاقل الحازم أن يترك التشبهات بالخلق بل عليه أن يعمل بعمل أهل الصلاح والتقوى ولو ببعضها ليكون منهم وليستجاب دعاؤه . وأما استدلالك بكثرة أقوال المشايخ فاعلم أن قول المشايخ إن لم يصحبه دليل عقلى عن الشارع سيان كثرتهم كقلتهم وسواء إن قالوا أو لم يقولوا . ألم تركثرة مشايخ أهل السكتابين الذين احدثوا أشياء لم تكن فى التوراة والانجيل لم يجعل الله كثرتهم حجة لهم بل ذمهم وعابهم فيما صنعوا وأزل فى حقهم شرما أنزل فوظيفة المشايخ والذى عليهم أن يكونوا ربانيين يعلمون الناس ما علموا من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وليس لهم التشريع من أنفسهم . ولم يقبل من كائن من كان ما لم يستند إلى دليل من الكتاب والسنة والأثر . وإن قبله منهم جاهل بجملة فإن يقبل الله من الجاهل ذلك العمل بل عليه وزره وعلى شيخه مثلاه لأنه أمر مبتدع لم يأذن الله به لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى آخر الحديث) بخلاف الخطأ فى الحكم المشروع . حيث إن الخطأ فيه فى الفهم والاجتهاد غير ملام وكذلك مقلده ما لم يظهر النص مخالفه قال الخلفى : اتسكروا بالتوسل وقد تناقلته الأمة سالف عن سالف وذكرته العلماء فى كتبها نثرا وشعرا . قال قائلهم :

وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

قال السلفى : ألم أقل لك أقوال المشايخ لا تصلح أن تكون حجة بدون دليل مع أن بحث الكرامات ليس من بحثنا بل بحثنا فى التوسل وهو أمر غير مشروع ولا يعبد الله إلا بما شرع . ولا يقبل عمل عامل إلا إذا كان

وفق ما شرع . لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه . وفي رواية لمسلم (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ولم يشرع لنا من التوسل إلا نوعان أحدهما أن يدعو العبد بنفسه . أو يطلب الدعاء من أخيه المؤمن ، قال تعالى « وابتغوا إليه الوسيلة » وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم (الدعاء من عمر بن الخطاب حين ودعه للعمرة قال له (لا تنسنا من دعائك) أو أشركنا . وفي رواية بلفظ (يا أخي) ومنه توسل الأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم . وتوسل عمر بالعباس ، ومعاوية يزيد . ومنه قول الأعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم (إنا نستشفع بك على الله) والتوسل الثاني أن يتوسل العبد بعمله الصالح الخالص لله لقوله تعالى « وابتغوا إليه الوسيلة » ولما أخرجه الشيخان وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوا فيه فأنحدت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم . فقال أحدهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت أرعى عليهما ولا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا وأنه نأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فخلبت لهما غبوقهما فوجدتهما قد ناما فذكرت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا وكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند قدمي والقديح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى بوق الفجر اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون منه الخروج . وقال الآخر اللهم إنه كانت لي ابنة عم هي أحب الناس إلى فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تحليني وبين

نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه
فتمزجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلى وترك
الذهب اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه .
فانفرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج . قال الثالث اللهم إن
كنت استأجرت أجرا فأعطيتم أجرا غير رجل واحد ترك أجره وذهب
فتمرت له حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله . أدلى
أجرك فقلت كل ما ترى من البقر والغنم والإبل والرقيق أجرك اذهب
فاستقه فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إنى لا أستهزئ بك اذهب فاستقه
فأخذه كله . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه
فانفرت الصخرة ففرجوا يمشون) .

قال الخلفى : أنتم أناس متوهبون ماتحبون النبي صلى الله عليه وسلم
ولذلك تكرهون التوسل به . أما نحن فهو وسيلتنا في الدنيا والآخرة .

قال السلفى : بل أنتم ماتحبون النبي صلى الله عليه وسلم ولو أحببتموه
لأطعتموه ولأثرتموه على غيره كما هو واجب على كل مسلم . ومن المعلوم أن
المحب لمن يحب مطيع فيما أحب وكره . ويقدم رغبته عن رغبة نفسه ورغبة
غيره كائنا من كان . ويصدق في أفعاله وأقواله . وأما من يدعى المحبة وهو
يخالف من يدعى حبه في أقواله وأفعاله ويأخذ بأقوال وأفعال غيره فهو
كاذب في دعوى المحبة . زعمه ينقضه سيره وهو لا يخلو في ذلك من أحد الأمور
الثلاثة إن كان عاقلا ، فإما أن يكون كاذبا في دعوى المحبة كما هو الظاهر ،
أو مكذبا له فيما أخبر به أو فيما فعله . أو محقرا له ومصدقا ومعظما لمن يتبعه
وإلا لما خالفه . وأيضا توسلك الذى تجعله دليلا على مودتك له إن صح ودك
به هو ودلقضاء أربك وليس حبا دينيا . وعلى الوجهين لو صدق حبك لأطعته .

إن الحب لمن يحب مطيع . كما قيل شعرا .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

فلحبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ترونا أننا نقدم ما قال الله والرسول صلى الله عليه وسلم على أقوال الرجال كأننا من كانوا كما يقتضيه الشرع والعقل السليم فما دمنا نتبع ما قال الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ونترك ما سواهما فنحن أولى بهما منكم . قال تعالى « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه » وقال « لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » وقال « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) فالخاصل لولا حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإثاره على غيره من الخلق لما اختلفنا نحن وأنتم . وما أبغضتمونا بل لسكننا نحن وأنتم . سواء في مخالفته واتباع قيل وقال من آراء الرجال الذين هم أكبر في صدوركم من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن يأبى الله لنا ذلك من فضله علينا ولن نوافقكم إن شاء الله تعالى أبدا ، والدعوى بدون بينة غير مقبولة شرعا قال الله تعالى « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » فاججونا وحاكمونا بالكتاب والسنة كما نحاكمكم بهما إن كنتم صادقين في حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » وأما مجرد دعوى المحبة مع المخالفة في الأقوال والأفعال فهي باطلة عاطلة شرعا وعقلا وأمثل حجتكم عن الشارع إما أن يكون حديثا موضوعا أو يروى برواية مجحولة الأسانيد كأحاديثك السابقة ، أو حديثا ضعيفا أو تفسير من لا يعبا بتفسيره وقلت أمثل حجة مع أنها ما سلف لأجل أنها منسوبة إلى الأصل

بالجملة دون الرجال . وأما ما تنسبونه إلينا بأننا ما نحب النبي صلى الله عليه وسلم والله يعلم أنكم لكاذبون في ذلك إنما تقصدون به وبأمثاله من الألفاظ الشنيعة تسليط العوام علينا الذين هم كالحوام وتفجيرهم عنا لكي لا يقتدوا بنا وتظنون بذلك أنكم تحسنون صنعا . وبالحقيقة أنتم أولى بما نسبتموه إلينا . وستعلمون غدا من يحب النبي صلى الله عليه وسلم نحن أو إياكم ولكن لن يفلح من ندم إذ ذاك . وأما قولك هو وسيلتنا في الدنيا والآخرة . نعم إنه هو الوسيلة لسعادة الدارين . ولكن لا بالمعنى الذى أنتم تبغونه وتهوونه . إنه يسأل أو يسأل به بل بمعنى أن من آمن به واتبعه فيما جاء به وكان هواء تبعا لما جاء به حقيقة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة له في سعادة الدارين لأنه هو السبب في هدايته ونجاته من النار .

قال الخافى : أترى وتعتقد التوسل الذى تجادلنى فيه هو شرك . أم لا . قال السلفى : لا أعتقد أنه شرك بل إنما أقول . من فعله أساء الظن بربه وأتى في دعائه بما ليس له أصل في الدين وبه جعل حظا للشيطان من دعائه . لما أخرجه الشيخان ومالك وأبو داود والنسائي عن ابن مسعود رضى الله عنه (قال لا يجعل أحدكم للشيطان شيئا من صلاته يرى أن حقا عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره) فانظر فقد جعل ابن مسعود رضى الله عنه ملازمة ما لم يلزم عليه الشارع من حظ الشيطان مع أنه له أصل صحيح في الدين . فما بالك بمن أتى بما ليس له أصل في الدين . ولو صحت أحاديثك التى زعمتها لكانت خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن مع الأسف لم تصح ولا تتعدى إلى غيره بالقياس لعدم المناسبة بينه وبين غيره من أفراد الأمة مهما بلغ غيره من الصلاح والفضل هيئات هيئات بينهما . وأنى يصح القياس

وهو رسول رب العالمين وسيد ولد آدم . وصاحب المقام المحمود . القائل أنا لها حين تعتذر الانبياء صلوات الله عليهم وله تفتح الجنة . ثانيا . صلاح الرسل محقق عندنا لا ريب فيه وصلاح أفراد الأمة ظنى لجهلنا بسرائرهم ثم بعاقبة أمرهم . وإن كان الواجب علينا أن نظن بهم الخير وأن باطنهم كظواهرهم . وأنهم ماتوا على ما كانوا عليه في الدنيا من الإيمان ولكن بدون يقين وقطع بذلك . لما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فوالله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) وعن أم العلاء قالت (فاشتكى عثمان عندنا فرضته حتى توفي وجعلناه في ثوبه فدخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم . وما يدريك أن الله أكرمه . قالت قلت لا أدري بأنى يا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فمن ؟ قال : أما هو فقد جاءه اليقين والله إنى لأرجو له الخير وما أدري والله وأنا رسول الله ما يفعل بى . قلت فوالله لا أذكرى أحد بعده) أخرجه البخارى . قال الامام أحمد جعفر الطحاوى الخنفي في عقيدته الطحاوية التى بين فيها عقائد السلف . ونرجو للبحسنين من المؤمنين ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئتهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم والأمن والإياس ينقلان عن الملة وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة — صدق فيما قال وهو فصل الخطاب . ويستثنى مما ذكر من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم أو شهد عليه فيجوز للأمة بل يجب عليهم أن يعتقدوا

ذلك ويشهدوا لمن شهد له أو شهد عليه تصديقا لشهادة نبيينا صلى الله عليه وسلم
إذ هو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى)
ولولا كراهية الاطالة لبيئت لك أكثر مما ذكر ولكن لا حاجة بنا إلى شيء
من ذلك إنا بسلفنا مقتدون ولهم متبعون وشفاعة نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم
راجون إعمالوا ما شئتم فستعملون غدا نحن أو إياكم من هو في ضلال مبين وما
توفيقى إلا بالله العلى العظيم .

الجلسة الثالثة

في بحث الفروع

قال المقلد : أنت مقلد ومتعبد بمذهب أى إمام من الأئمة الأربعة
رحمهم الله .

قال السلفى : متعبد بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قال المقلد : متعجباً منه . الله أكبر . ثم قال ألم تكن مقلداً لأحد
المذاهب الأربعة : الحنفى . والمالكي . والشافعى . والحنبلى ؟

قال السلفى : لا . ولا أعدل إن شاء الله تعالى مادمت عاقلاً عن الكتاب
والسنة ولا أستعوضهما بآراء الرجال لعلها ولعلها وليس الشك كاليقين كما
قال مصعب الزبيري :

أأقعد بعد ما رجفت عظامى	وكان الموت أقرب ما يلينى
أجادل كل معترض خصيم	وأجعل دينه غرضاً لدينى
فأترك ما علمت لرأى غيرى	وليس الرأى كالعلم اليقين
وما أنا والخصومة وهى لبس	تصرف فى الشمال وفى اليمين
وقد سنت لنا سنن قوام	يلحن بكل فج أو وجين
وكان الحق ليس له خفاء	أغر ككفرة الفلق المبين
وما عوض لنا منهاج جهنم	بمنهاج ابن أمانة الأمين
فأما ما علمت فقد كفانى	وأما ما جهلت فجنبتونى
فلمست مكفراً أحداً يصلى	وما أحرمتكم أن تكفرونى
وكنت إخوة نرمى جميعاً	فترمى كل مراتب ظنين

فما برح التكلف أن رمينا لشأن واحد فوق الشؤون
فأوشك أن يخر عماد بيت وينقطع القرين من القرين
ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم .
قال المقلد : إذا أنت خامسى .

قال السلفي : لست خامسياً بل لاني سني وأن مذهبي هو مذهب الحق
والهدى الذي من خالفه ضل أعنى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم ومذاهبكم هي التي أحدثت بعدهما فلذلك أنتم أولى بالإسم الذي تدعوننا
به لحدوث مذاهبكم بعد الكتاب والسنة . والاول لا يقال له خامس . بل
الخامس ما بعد الاول . وأنت بنفسك تعترف وتقرأ أن أصول الفقه عنكم
أربعة الكتاب . والسنة . والإجماع . والقياس . ومعلوم بالاضطرار عند
الاولين والآخرين أن الأصل قبل فرعه . واول عدد يدعى واحد في عرف
جميع الأمة مسلميها وكافريها . وما بعد الواحد يدعى ثانياً ، وثالثاً ، ورابعاً ،
وخامساً إلى آخر العدد . فإن أنكرت على هذا فالعرف يرد عليك من دوني
وأنت تعرف بنفسك أن ما قلته هو الحقيقة وهو الحق إلا أنك تحيد عن
الحق لتأييد قولك الخاطئ . والحق واضح غير خاف على أحد . إنما خضت
معك لبيان خطئكم فيما تدعوننا به ما أنتم أولى به منا مع علمي بأى اسم
دعوه ومونابه غير ضار بنا أبداً مادامنا على الصراط المستقيم كما لم يضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعوى قريش له بمذم ونحوه صرف الله عنه ذلك بأنه
محمد صلى الله عليه وسلم (سبحان الله كم من مخطئ يظن أنه مصيب . وكم
من مدبر يظن أنه مقبل .

قال المقلد : ما يمكن أن تكون على الصراط المستقيم حتى تقلد أحد
المذاهب الأربعة المتفق عليها أهل السنة والجماعة وإلا فما نفسه من عبادتك

تكون أكثر مما تصلحه وتعبد الله دائماً وأبداً على جهل ، ولا تستطيع أن تفهم شيئاً من الكتاب والسنة : وتعيش دائماً على دعاوى كاذبة . وهذا الفن له رجال يعرفونه كما قيل .

وللحديث رجال يعرفون به وللدواوين حساب وكتاب
فالأئمة الأربعة اجتهدوا واستخرجوا جميع الأحكام من الكتاب
والسنة وبهملوها في كتب وسموها الفقه ، أما الآن فلا يستطيع أحد أن
يفهم منهما شيئاً إلا أن يتبعهم في فقههم ، وأنتم المدعون الاجتهاد في وقتنا
هذا لو سئل أحدكم بأقل مسألة فقهية لا يستطيع أن يفتي فيها ويشفي السائل
إلا أن يرجع إلى أقوال الفقهاء لأنهم قد هبوا للأمة الوفاً من المسائل ولم
يتركوا شيئاً مما يحتاج إليه مقلدهم . ما كان من مسائل ومما لم يكن لتوقعه ،
فجزاهم الله عنا خبراً ،

قال السلفي : تجنب السب والشتم الخالي عن الصدق لأنه ملجأ العاجزين
عن الحجة قالت قریش لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن الحجة
إنه كاذب مع علمهم أنه غير كذوب وساحر وكاهن كما قيل للرسول من قبله
صلوات الله عليهم . وأما قولك أن الأئمة استخرجوا الأحكام من الكتاب
والسنة إلى آخر ما ذكرت فإن كنت تعني أن الأئمة استخرجوا معانيهما
ولم يبق شيء فيهما يفهم منه معنى إنما بقيت حروف كما تبقى الحصة فهذا
ظاهر الفساد . ولا حاجة إلى أن أورد الأدلة لإبطاله . فمن ضرورة الحروف
أن تدل على المعنى التي وضعت له . وأما إذا تعني وتقول أن معانيهما باق كما
كان ولكن الناس الآن صاروا حصالاً لا يستطيعون فهمهما وهذا مع ظهور
بطلانه ، وعلى فرض صحته أقول إن من لم يستطيع فهم كتاب الله تعالى
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فخرى أن لا يفهم كلام الفقهاء المعقد ككلام

صاحب الكنز والهداية من الحنفية وكلام خليل وصاحب العشوائية من المالكية وكلام صاحب الزبد والمنهج ، من الشافعية . وكلام صاحب الإفتاع، من الحنابلة . والله يعلم أنك غير صادق فيما قلت . فكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أخرى أن يفهم لأنهما أخصر وأفصح وأوضح . ثم غير مشوبين باصطلاحات المناطق ككتب الفقه فمن عجز عن فهم الكتاب والسنة فخرى أن يعجز عن كلام الفقهاء المعقد ولو عكستم لكان أصوب . فالفهم الذى يفهم به كلامهم فمن باب أولى أن يفهم به كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم . ولذلك ترون أن أحكم يقرأ علم الآلة والفقه عند المشايخ سنين عديدة . ويقرأ التفسير والحديث بدون شيخ بل يقرئه لغيره . وقال أحمد بن حنبل في حصره . الدليل لا تخ والطريق واضح والداعى قد أسمع ، فما التحير بعد ههنا إلا من العمى ، إنما خلقت هذه الكلمات الكبار المجوفة أنت وأمثالك لترهبوا بها العوام وتصدوهم بها عن العمل بالكتاب والسنة ، فله سبحانه وتعالى أنزل كتابه العزيز على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بلسان عربى مبين غير ذى عوج لينذر به الثقلين عربهم وعجمهم . ولا يكون الإنذار والنبشير إلا بكلام يفهم ، يفهمه اللاحق كالسابق . فالله سبحانه وتعالى حكيم رحيم لطيف بعباده من أن يكلفهم ويحجمهم بما لا يفقهون ثم يعاقبهم لمخالفة أوامره ونواهيه . كيف يتقونه وهم لا يفهمون ما يتقونه وما يأتونه . قال تعالى : (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فهل ترى من العقل السليم أن ترسل الأكمة وتقول له امض إلى بستان كذا وأتني منه بتفاح أحمر والحذر من أن تأتى بغيره . وتتجول فى الطريق يميناً وشمالاً وتتوعده إذا خالف ما أمرته به . تعالى الله عما تقولون ، وما ربك بظلام

للعبيد ، كيف يصح زعمكم وهو يقول سبحانه وتعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقال « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فأية حجة قامت وأى فائدة حصلت بإرسال الرسل بكلام لا يفقهه أحد من البشر إلا أوائل الأمة . إلا أن تقولوا أرسلت الرسل إلى الأولين دون الآخرين . وما ذلك منكم ببعيد . قال تعالى « ليدبروا آياته » والتدبر لا يكون إلا بعد الفهم التام : على م يتدبرون . وهم لم يفهموا شيئا . وقال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فأية فائدة للعباد في بقاء القرآن وحفظه وهم لم يفقهوا منه معنى حرف واحد . وقال تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر » علام يتفكرون ويعتبرون وهم لم يفقهوا شيئا منه صدق الله العظيم وأنتم الكاذبون . لاشك بأن فقه القرآن والحديث باق مستمر . لما أخرجه الترمذى . عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامعه) وفى رواية أفقه . وهذا الحديث هو الذى يدحض زعمكم الفاسد لأنه أفاد بأن بعض المبلغين أوعى له من سامعه قال العلماء معناه قد يأتى فى آخر الزمان من هو أفقه من سامعه ، وصرح المهلب بهذا اللفظ ذكره عنه ابن حجر فى فتح البارى . وهذه الأدلة تبطل زعمكم الخاطى من كون كل حامل القرآن والحديث كصندوق اللهب المحدث هو الذى فيهما يحفظ الالفاظ التى ألقيت عليه ويؤديها ولا يفقه منها شيئا والسامع لهما كسامع أصوات الحيوان يسمع الصوت ولا يعلم منه معنى فأما الكتب الفقهية التى بأيديكم اليوم وتنسبونها إلى الأئمة البرآء منها هى بالحقيقة ليست للأئمة ولاتلامذتهم سوى كتاب أو كتابين أو ثلاثة

لبعضهم وهي مع قلتها مهجورة . وأما المستعملة الآن عندكم البالغ عددها
 الألوف فهي للمتأخرين : متونها . وشروحها . وحواشيها . لمجتهدى
 المذهب ومجتهدى الفتوى وهلم جرا . وصرتم تبسطون وتختصرون في
 الأحكام كيف شئتم بدون ملاحظة الدليل إنما تلاحظون أشد الملاحظة
 لقواعد المذهب وهو دليلكم الأكبر ثم نسبتم الجميع إلى الأئمة لتزوجوا بها
 مذاهبكم المحدثه بعزهم . لعلمكم أن الناس يظنون بهم الخير وهذا أصل
 عظيم للشيطان يوحيه وبوجسه في قلب كل مبتدع . الأول حين يبتدع بدعة
 يأمره أن ينسبها إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أو أشرف الناس
 الذين اشتهروا بالعلم والفضل لكي تروج له ولولم ينسبها إليهم لم تقبل
 منه بدون دليل . ثم إذا اعترض عليكم سني قائل إن عملكم هذا بدعة
 لا أصل له من الكتاب والسنة ، قلتم أتم أتباع المبتدعة بناء على الأصل
 الباطل المذكور آنفا لو كان بدعة ما فعله وقال به سيدنا فلان . والعلامة
 الشيخ فلان وإذا أتاكم بحجج تشهد بان عملكم بدعة لا أصل له قلتم له
 سيدنا فلان والعلامة مولانا الشيخ فلان أعلم منك ومن غيرك بالكتاب
 والسنة وفهم مقاصدهما . فهذا وأمثاله قطع عليكم الشيطان وعلى كل مبتدع
 طريق التوبة والرجوع إلى الحق ، وفي مثل هذا . قال منذر بن سعيد :

عذرى من قوم يقولون كلما طلبت دليلا هكذا قال مالك
 فإن عدت قالوا هكذا قل أشهب وقد كان لا تخفى عليه المسالك
 فإن زدت قالوا قل سحنون مثله ومن لم يقل ما قبله فهو آفك
 فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا وقالوا جميعا أنت قرن بماحك
 وإن قلت قد قال الرسول فقولهم أنت مالكا في ترك ذلك المسالك

ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم .

واما ما ذكرته من أن أحدا لا يستطيع أن يفق في أقل مسألة فقهية مالم يرجع إلى أقوال الفقهاء فإن تعنى بقولك هذا أننا لا نستطيع أن نفق بنص الكتاب والسنة وأثر الصحابة رضوان الله عليهم فقد كذبت علينا بل إننا نفق ونعمل بالصوص ما وجدناها ولا نبالي بمن يخالفنا في ذلك ، وأما إذا تعنى أننا لا نستطيع أن نفق برأينا فأقول صدقت في ذلك إننا لا نستطيع أن نفق بالرأى ولو في عود من أراك ولا نغبط من يفعل ذلك . بل إذا لم نجد النص من أحد الثلاثة قلنا لا نعلم ولا ندرى ونرى ذلك أحد العلين لما روى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه سمعه يقول (أيها الناس من سئل منكم عن علم يعلمه فليقل به ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ، وقال ابن القيم : قال مالك - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امام المسلمين وسيد العالمين إذا سئل عن شيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء - وروى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أدري تبع لعين . أم لا . وما أدري ذو القرنين نبي أم لا) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال . يا رسول الله أى البقاع خير قال (لا أدري فقال أى البقاع شر . فقال لا أدري . قال سل ربك . فأتاه جبريل عليه السلام . فقال يا جبريل أى البقاع خير قال لا أدري . فقال أى البقاع شر . قال لا أدري . فقال سل ربك . فانتفض جبريل انتفاضة كاد يصعق منها محمد صلى الله عليه وسلم وقال لا أسأله عن شيء . فقال عز وجل لجبريل سألك محمد أى البقاع خير فقلت لا أدري . وسألك أى البقاع شر . فقلت لا أدري . فأخبره أن خير البقاع المساجد . وشر البقاع الأسواق) وقال

عبد الله بن أحمد . في مسألة سمعت أبي يقول قال عبد الرحمن بن مهدي . سألت رجل من أهل المغرب مالك بن أنس عن مسألة فقال لا أدري فقال يا أبا عبد الله تقول لا أدري . قال نعم فأبلغ من ورائك أني لا أدري .. وسئل الشعبي عن مسألة فقال هي زباء هلباء ذات وبر لا أحسنها ولو ألقيت على بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعضلت به وإنما نحن في العنوق ولسنا في النوق . فقال له أصحابه قد استحيينا لك بما رأينا منك . فقال لكن الملائكة المقرئين لم تستح حين قالت (لا علم لنا إلا ما علمتنا) ذكر الجميع ابن عبد البر في جامع بيان العلم . إلا ما روى عن مالك فإنه ذكره الثلثاني في إيقاظه . وأما ما افتخرت به بأن الفقهاء هيأوا لكم من المسائل ما كان وما لم يكن متوقفاً فردود عليكم من وجهين . أولاً . قد أكمل لنا نبينا صلى الله عليه وسلم ديننا ولم يترك شيئاً لتكملة أنت وفقهاؤك . قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها) وقال مالك قبض النبي وقد تم هذا الأمر واستكمل : وثانياً البحث عما لم يقع : خلاف سيرة السلف بل كانوا ينهاون عن السؤال عما لم يكن والاقتناء بما لم يكن . وكان عمر بن الخطاب يقول (إياكم وهذا العضل فإنها إذا نزلت بعث الله إليها من يقيمها ويفسرهما) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قل (يا أيها الناس لا تسألوا عما لم يكن فإن عمر كان يلعن من يسأل عما لم يكن) وكان زيد بن ثابت إذا سأله إنسان عن شيء قال آله أكان هذا فإن قال . نعم . نظروا إلا لم يتكلم — إن عبد الملك بن مروان سأل ابن شهاب عن شيء فقال له ابن شهاب أكان هذا يا أمير المؤمنين قال . لا . قال فدعه فإنه إذا كان أنى الله له بالفرج — وسأل مسروق أبي بن كعب عن مسألة . فقال أكانت هذه بعد . قال لا . قال فأجني حتى تكون . وعن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه

انه كان لا يقول برأيه فى شىء . حين يستل عنه حتى يقول انزل أم لا . فان لم يكن نزل لم يقل فيه وان يكن وقع تكلم . ذكره القلاى فى إيقاظه .
قال المقلد : كيف تجرأت بالعمل بالكتاب والسنة وأنت لا تعلم وتدرى
معانيهما وما أريد منهما ولا تعلم الناسخ من المنسوخ ولا تعلم صحيح الحديث
من ضعيفه

قال السلفى : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) إني لم أحضر زمن النبوة
لأخذ الحديث بالمشافهة . ولا زمن رواة الحديث لى أستفيد منهم حالة
الرواة ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه العزيز بنفسه وحفظ سنة نبيه
صلى الله عليه وسلم برجال وفقهم لحفظها فحفظوها بحفظ الله من كل غش
أدخلته المبتدعة وغيرهم من الغفلة . وإني متبع لهم فيما هذبوه ونقحوه وهم
أمناء فى هذا الشأن باعتراذك . وكذلك كتب اللغة والتفسير مدونة موجودة
بأيدينا وفيها تفسير الشارع الامام الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه
وسلم واصحابه الكرام وتابعيهم وتبع التابعين ومن تبعهم باحسان رضوان الله
عليهم . فالفهم الذى أفهم به كلام الفقهاء من باب أولى أن أفهم به كلام هؤلاء
الكرام . وأقول أيضا على فرض صحة ما تدعيه بأن الفقه هو من كلام
الأئمة وهم تبع التابعين .

فأنت تعترف لى وتقر بأننى أفهم كلامهم الذى تدعونه الفقه فما المانع من
أن أفهم كلامهم المسمى بالتفسير وشرح الحديث والكل بلسان عربى مبين .
وأيضا على فرض صحة دعواك بأننى لا أفرق بين الحديث الصحيح وغير
الصحيح أقول . أولا : حسبى من ذلك أن امامى رسول الله صلى الله عليه
وسلم . ثانيا . لأن اعمل بالحديث الضعيف واخطئ فيه وانا قاصد اتباع النبي
صلى الله عليه وسلم خير لى واعذر لى عند ربى من ان اعمل بمحض آراء الرجال كما

ذكر نحوه عن الامام احمد بن حنبل قال عبد الله بن احمد سألت أبي عن الرجل يكون ببلدة لا يجد فيها إلا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيميه . وأصحاب الرأي فتنزل بهم المنازلة فأيهما يسأل ؟ فقال يسأل أصحاب الحديث ولا يسأل أصحاب الرأي لأن ضعيف الحديث أقوى عندنا من الرأي . وأخبر عبد الله أيضا عن أبيه انه قال

دين النبي محمد اخبار نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبين عن الحديث وآله فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى والشمس بازغة لها أنوار
ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم

وقال أبو بكر بن أبي داود

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرح
ولا تنك من قوم تلهوا بدينهم فتقطعن في أهل الحديث وتقبح
ذكره الذهبي في العلو .. وقال غيرهما ..

أهل الحديث هموا أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا
وقال آخر :

ولو لم يقم أهل الحديث بديننا فمن كان يروى عليه ويفيد
هم ورثوا علم النبوة واحتوا من الفضل ما عنه الأنام رقود
وهم كمصابيح الدجى يهتدى بهم وما لهم بعد الممات خمود
عليك ابن غياث لزوم سبيلهم فحلمهم عند الإله حميد
قال ابن عبد البر وانشد . للصولي عن المراغي . قال أنشدني . أبو العباس
الطبري . عن أبي سعيد الطبري . قال أنشدني . الحسين بن علي بن الحسين
ابن علي بن عمر بن علي رضي الله عنه لنفسه . وكان من أفضل أهل زمانه .

تريد تنام على ذى الشبه وعلك ان نمت لم تنتبه
 فجهد وقد كتب الاله لتلقى الاله اذا مت به
 فتد قلد الناس رهبانهم وكل يجادل عن راهبه
 وللحق مستنبط واحد وكل يرى الحق في مذهبه
 ففيا ارى عجباً غير أن بيان التفرق من أعجبه
 ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم

قال المقلد : إذا أنت صرت مقلدا لرجال الحديث والتفاسير كما قلدت أنا
 الفقهاء فصرنا أنا وأنت في التقليد سواء . ومن قلدهم أنت أكثر ممن قلدهم
 أنا . ففهم تجادلى بعد .

قال السلفي : دع عنك المغالطة . فليس سواء أنا وأنت ان صح تقليدى
 فثمان بين من قلد الرجال في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
 وبين من قلد الرجال في محض آرائهم . أما أنا فمن فضل الله على ائ متلق من
 رجال الحديث والتفاسير حكم رب سبحانه وتعالى . وحكم نبي محمد صلى الله
 عليه وسلم الذى أمرنا الله أن نتبعه فيما جاء به وتجنب عماها عنه . قال تعالى
 « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال « وما كان لمؤمن
 ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » وقال
 « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون »
 وقال « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
 والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » وقال « فليحذر الذين
 يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقال « وأطيعوا
 الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فاعلموا ان الله عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه
 تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » وقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله

فأولئك هم الكافرون ، وقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون »
 وقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » فأكد وكرر سبحانه
 وتعالى في أمر واحد لعظم مخالفة الله والرسول صلى الله عليه وسلم وقال
 تعالى « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا
 على الله الكذب » والآيات الموجبة اتباع الكتاب والسنة دون غيرهما كثيرة
 جدا في القرآن العظيم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى
 يكون هواه تبعاً لما جئت به) وعن العرياض بن سارية رضى الله عنه . قال
 صلى بنارسل الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا
 موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب . فقال رجل يا رسول
 الله كأن هذه موعظة مودع . فما تعهد إلينا . (فقال أوصيكم بتقوى الله تعالى
 والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى
 اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا
 عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)
 أخرجه الترمذى وأبو داود . وروى عن مالك بن أنس قال بلغنى أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال . (تركت فيكم أمراً لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب
 الله وسنة رسوله) وقد صح عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال . أغد عالماً
 أو متعلماً ولا تمكن إمعة . فاخرج إمعة من زمرة العلماء والمتعلمين : ومعنى
 إمعة لغة من لا رأى له . وهى صفة معشر التقليد حيث يعتقدون بآراء
 الرجال بدون بصيرة كالجلل المذلل ينقاد ولا يدرى إلى أين يقاد إلى المجزرة
 أم إلى المنهل والربيع . وكذلك المقلد لا يدرى بما يعمل . كما قال ابن
 الجوزى فى تلبيس إبليس . اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلده وفى التقليد
 إبطال منفعة العقل لأنه خلق للتأمل والتدبر وقبح بمن أعطى شمعة

يستضى بها فيظننها ويمشى في الظلمة وقد صدق أبو العتاهية في قوله :
 وليس بحكم من لا يبالي أخطأ في الحكومة أم أصابا
 والآحاديث أكثر في هذا الباب من أن تحصى . فإن رمت أن تطلع على
 بعضها فراجع الشفاء للقاضي عياض رحمة الله عليه . فانه ذكر فيه ما يكفي
 ويشفي الغليل من الكتاب والسنة . وأقوال علماء السنة في فصل وجوب
 طاعته واتباعه صلى الله عليه وسلم . والحاصل أن الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة
 نبيه صلى الله عليه وسلم ليس من التقليد بل هو اتباع لمن لا بد من اتباعه .
 وعلى الفرض انه يدعى تقليدا فليس هو مثل تقليدكم للرجال بدون دليل بل
 هو الدين المشروع وهو الصراط المستقيم الذي أمر الله به عباده ان يتبعوه ومن
 خالفه منهم واعد به سقر . فإن جعلنا لهذا من المقلدين فكذلك تكون أئمتكم
 المجتهدون مقلدين لمن كان قبلهم الذين كانوا ينقلون عنهم القرآن والحديث إلا أن
 تقول كان يوحى عليهم . فعلى هذا لا تجد أحدا إلا وهو مقلد من قبله ولكن ليس كل
 ما دعى تقليدا مذموم لدى أهل العلم . فان نسبتنا الى التقليد لأخذنا بالكتاب
 والسنة وأقوال علماء السنة فنعم التقليد ونعمت النسبة . اللهم زد وبارك .
 حسبنا شرفا نسبتنا الى النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابو بكر الهذلي قال لي
 الزهري يا هذلي يعجبك الحديث قلت . نعم قال . أما انه يعجب ذكور
 الرجال ويكرهه مؤنثوهم . ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم . ولكن
 الأسف كل الأسف على من قلد الرجال في آرائهم بدون ان يعلم ماذا حكم
 الله فيما يعمل . بل اذا جاءك حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على
 خلاف ما في مذهبك رميت به يمنة ويسرة نصرة لمذهبك وقلت فيهما ماشاء
 الله ان تقول فيهما . واذا أحل لك الفقهاء شيئا أحلته . واذا حرموا عليك
 شيئا حرّمته بدون ريب وتوقف وأنت ترى ذلك اهدى سبيلا ولا تدرى

انك تكون بذلك عابدا لهم من دون الله تعالى . ولم يكن معنى للعبادة سوى الطاعة . ولم تكن الطاعة المطلقة لإلا لله ولرسوله صلوات الله عليهم
قال المقلد : حاشا لنا من أن نعبدهم إنما هم علمائونا نأخذ ونلتقي عنهم أمر ديننا كما أمرنا الله تعالى . قال تعالى « فاسئلو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »
وقال النبي صلى الله عليه وسلم (قد سن لكم معاذ فاتبعوه) هذا دليل التقليد
قال السلفي : لقد قال عدى بن حاتم رضى الله عنه كما قلت حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم » قال فقلت له إنا لسنا نعبدهم . قال (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه) قل فقلت بلى قال (تلك عبادتهم) رواه أحمد والترمذي قال ابن عبد البر وقد احتج العلماء بهذه الآيات لإبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لإبطال التقليد لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد أما ما ذكرته أن الله أمركم أن تسألوا أهل الذكر . نعم . امركم أن تسألوا أهل الذكر عن الذكر . ولم يأمركم أن تعارضوا بأراء أهل الذكر الذكر وتجعلوها معيارا للذكر ، بل الذكر هو المعيار . كما قال العز بن عبد السلام : الشرع ميزان يوزن به الرجال والأقوال والأعمال والمعارف والأحوال فمن رجع به ميزان الشرع فهو أرجح وأما استدلالك بقول النبي صلى الله عليه وسلم (قد سن لكم معاذ فاتبعوه) فليس لك فيه حجة حيث لم يكن ذلك سنة بفعل معاذ . إنما صار سنة بإقرار الشارع له وأمر الشارع بأن تفعل الأمة كفعله . كما لم يكن الأذان سنة بمجرد رؤية زيد له بل بأمر الشارع به
قال المقلد : لا تستدل علينا بأشياء ما تعلمها هذه الآية وردت في أهل الكتابين الذين بدلوا دينهم .

قال السلفي : نعم انها نزلت فيهم ولكن تنطبق عليك مادمت تعمل
كعملهم وتتبع آراء الرجال مخالفا لكتاب الله تعالى والسنة المحمدية المطهرة .
فإن قال لك السني : عملك هذا مخالف للكتاب والسنة . قلت له ان إمامي
اعلم منك ومن غيرك بالكتاب والسنة . او قلت لعل لإمامي دليلا غير هذا
مما لا علم لك به . او قلت هذا محمول على كيت وكيت وتحمله على غير محمله .
أو قلت هذا خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم بدون ان تعلم له دليل
التخصيص . او قلت هذا منسوخ بدون ان تعلم الناسخ له . او قلت لعل إمامي
ترك هذا العلة عليها فيه بدون ان تعلم انه اطلع عليه ووجد فيه مطعنا . وهذا
كله تتجشمه نصرة لمذهبك لكي لا تخلفه . ومخالفة الكتاب والسنة أهون
في نفسك من مخالفة مذهبك وما انت من صنع أهل الكتابين ببعيد إلا ان
الفرق بينكم وبينهم هم مسحوا الرسم واتم مسحتم المعنى . والنتيجة والثررة
واحدة . أم ظننت أن الله بغضهم وضلهم لكونهم يدعون باليهودية والنصرانية
وما ضيعك انت وأمثالك إلا الفهم السقيم كلما اخبر الله به ورسوله قلتم هذا
في حق اليهود وهذا في حق النصارى . وهذا في حق كفار قريش وهلم جرا .
ولم تدركوا ان ذلك لمخالفة كتبه ورسله صلوات الله عليهم . وقد اخبر
الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم (ان هذه الامة لتتبعن سنن من كان
قبلها) في الحديث الذي اخرجه الترمذى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه
قال قال . رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليأتين على أمتي ما اتى على نبي
اسرائيل حذو النعل بالنعل) إلى آخر الحديث وأخرجه مسلم بمعناه

قال المقلد : لولا الحكومة الوهابية لقطعنا جلدك ضربا لتسكون عبرة
لأمثالك

قال السلفي : اللهم انصر من نصر الدين ثم قال لا خير فلهذه سنة من كان

قبلكم من امثالكم مخالفي الرسل صلوات الله عليهم . إذا انقطعت بهم الحجة رجعوا إلى استعمال القوة والبطش . وهي مرجع كل عاجز عن الحجة . وليست بشيء . انما يشفى بها المنقطع غيظه الذي أصابه بالانقطاع كما ذكر الله تعالى عن قوم ابراهيم صلوات الله عليهم حين حج بهم « قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم » وقال قوم شعيب لشعيب صلوات الله عليهم « ولولا رهطك لرجمناك » وقد همت اليهود بقتل عيسى صلوات الله عليه . وهمت قريش بقتل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وعزموا بان يضربوه ضربة رجل واحد بأشارة من شيخهم اللعين ولكن الله حفظ رسوله كما حفظ رسله من قبله . وكان قوم نوح يضربون نوحا صلوات الله عليه حتى يغشى عليه فهل ترى أن ذلك صار حجة للكفرة على الرسل صلوات الله عليهم . أم لا . طبعاً ستقول . لا ولو فعلت ما ذكرت لن تعدو قدرك به . ولم تكن لك حجة ولم تبدع شيئاً بل لك سلف وهم من تقدم ذكرهم . فيا الله العجب تنكر على العمل بالسكتاب والسنة زاعماً أنى ما أفهم معانيهما ولا الناسخ من المنسوخ منهما ولا ضعيف الحديث من صحيحه وانت أضل سبيلاً ومنتهش بالباطل ولم ترفع رأسك أصلاً لفهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وصرت تتعبد وتفتى بالحلال والحرام في الفروج والأموال بأقوال الرجال بدون أن تعلم وتلتفت من أين قالوا ومن أين أخذوا . وجعلت أقوالهم قضية مسلمة لا تحتل الخطأ . والاخذ بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يحتملان الخطأ وأقوال الرجال التي تعبد بها بدون دليل مع بطلانها لم تنقل اليك عنهم لا بسند ضعيف ولا حسن ولا غير ذلك مما تنقل به الرواية ولم تعرف حقيقتهم الا انك تجد في السكتاب المنسوبة اليهم صفحة مملوءة من القابهم الضخمة المدهشة فمن الذي وثق لك نقلة الفقه . وادخل الضعف والريب في نقلة الحديث أو لم يكن الفقه من الدين ليحتاط في نقلته . وتعديل نقلته كما تعدل نقلة الحديث . وهذا على فرض

عصمة من نقل عنه فقهك . وان كان غير معصوم فحتاج إلى تعديل الناقل والمنقول عنه . وأما الحديث فقد نقل عن المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى فالحاصل كان اولى لك : اولاً . أن تحاسب نفسك الباغية بمثل ما حاسبته به فان ما أنت عليه أضل سبيلاً لأنك متمسك بأمر واه لازم ولا خطام له . وصرت تنقرب إلى الله سبحانه وتعالى بغير ما شرع . والمتقرب إليه بغير ما شرع لم يزدته تقربه الا بعد امنه وهو فى عمله ذلك كمن يكتب على وجه الماء أو كمن يحمل الماء على الغر بال . قال البخارى : قال سفيان ما فى القرآن أشد على من « لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ، وأنا أقول فكذلك هذه الأمة لا تكون على شيء حتى تقيم الفرقان وما أن به نبيها صلى الله عليه وسلم . ولذلك استصعب سفيان الآية . وإلا لم يصعب عليه ضلال أهل الكتابين وما نزل فى حقهم لأن هذه الأمة غير مكلفة بالعمل بالتوراة والانجيل الا ما وافق الفرقان منهما . ثم اعلم أنت ومن تعمل بقوله سفيان فى التشريع ، والتشريع لله وحده وللرسول صلى الله عليه وسلم فقط . والذى تتبعه محجوج بما أنت محجوج به ولا يغنى عنك من الله شيئاً ، ولعله أن يكون معذوراً فيما لم يطلع عليه من النصوص التى اطلعت عليها أنت وأعرضت عنها ايثراً لاتباعه على الكتاب والسنة . وأما أنا فلو اخطأت فى فهم الآية أو الحديث أو عملت بحديث ضعيف أو بالمنسوخ من القرآن والحديث حسب زعمك . فعلى كل حال إنى قاصد الحق الذى أمرنا الله أن نعمل به بذلك اطمع أن يغفر الله لى ويتجاوز عني فيما اخطأت فيه لصالح قصدى وارجو أن ادخل فى قول القائل

وإذا الحبيب اتى بذنب واحد جمات محاسنه بالف شفيع

وأما أنت فلم تقصد الحق أصلاً . ولم تقصد فهم الكتاب والسنة بتاتا إنما

تقصد وتتحرى اقوال الرجال من أهل مذهبك . وإذا وجدت اقوالهم تخالف
الكتاب والسنة دفعتهما دفعا نضالا عن مذهبك بلعلمهاو لعلها كما يدفع الشريك
الغير المنصف عن شريكه . وكل من كان منكم اقدر دفعا واكثره صار عندكم
اعظم قدرا : ويكون ذلك دليلا على فقهه ومحافظته على مذهبه وما مثلي ومثلك
الا كمثل قوم جاءهم رسول بكتاب ملئكم حواو لجمع أو امره ونواهيه
ونص كتابه هكذا . إنه من الملك الفلاني إلى من يبلغه من الرعية هذا
الكتاب أنه يجب عليكم أن تعملوا بما فيه وبما يبلغكم الرسول المرسل معه هذا
الكتاب فانه لا يأمركم من تلقاء نفسه انما يأمركم وينهاكم بما أمرته أن يأمركم
به وينهاكم عما أمرته أن ينهاكم عنه وانه آخر رسلي اليكم والكتاب الذي
معه آخر كتبي اليكم لا ياتيكم بعده من قبلي كتاب ولا رسول ، فبلغ
الرسول الكتاب وأمر ونهى حسب ما أمر

ثم قال لهم هذا آخر كتاب الملك إليكم . وأنا آخر رسله إليكم . لا ياتيكم
كتاب ولا رسول بعدى من قبل الملك قطعا . فقبلوا جميع ذلك وترك
عندهم مراقبين ليكتبوا ما صنعوا . ثم طال عمر الملك حتى فنت القرون وبقي
الكتاب . وما بلغهم الرسول مع خلفهم ثم بعد حين من الزمان جمع الملك
الرعية لينظر فيما صنعوا . واحضر كتب المراقبين عليهم فحاسب فريقا منهم
فوجد في بعض أعمالهم ما يخلف الكتاب وما بلغهم الرسول فقال لهم لماذا
صنعتهم هذه الأعمال المخالفة لكتابي وما بلغكم به رسولي . ألم ياتيكم الكتاب
ألم يبلغكم الرسول . فقالوا بلى . ثم قالو أما العمل الفلاني فعملناه حسب ما فهمنا
من كتابك وفهم من كان قبلنا وأما العمل الفلاني فعملناه حسب ما بلغنا فلان
عن فلان عن فلان إلى آخره عن رسولك لذى أمرتنا أن نعمل بما جاء
به . ونحن لم نره إنما عملنا بما بلغنا عنه . وبادرنا إليه طاعة لك فان علمت

أن ما بلغنا وعملنا به خلاف ما أتى به رسولك من عندك فاللوم على المتقول على رسولك . ونحن لا نعلم الغيب تؤاخذنا بما لا طاقة لنا به . وقد قلت في كتابك لا أكلهكم بما لا طاقة لكم به . فقال لهم الملك . لماذا لم تثبتوا فقالوا معتذرين . إنما ندرك أحداً من أتى رسولك لكي تثبت منه ولا الذين يلونهم ولا ولا ولا . ثم حاسب الفريق الثاني فوجد في بعض أعمالهم ما يخلف الكتاب وما باغهم الرسول . فقال لهم الملك . لماذا صنعتهم هذه الأعمال المخالفة لكتابتى وما باغهم به رسولى . ألم يأتكم الكتاب ألم يبايعكم الرسول . فقالوا بلى . ولكن عملنا بما وجدنا في كتاب مولانا الشيخ فلان ومولانا الشيخ فلان وفلان . فقال لهم الملك . إنى لم أرسل إليكم رسلاً ولا كتباً إنما أرسلت إليكم كتاباً واحداً ورسولاً واحداً وأنبأتكم أنهما آخر كتبتى ورسلى . قالوا معتذرين . إنما كنا في آخر زمان فوجدنا أناساً من أهل الخير والخبرة عاملين بهذه الكتب وارشدونا بأن نعمل بها . وقالوا لنا كلام الملك وكلام رسوله كلام بليغ لا نستطيعون فهمهما بل يضللهم الأخذ بظاهرهما فنقصور فهمكم . وارشدونا بأن نعمل بكتب المشايخ المذكورين وقالوا لنا إنها حارية جميع ما في كتاب الملك ومقاصده منه وما بلغ به رسوله ومقاصده مما بلغ . فعليكم بها عضوا عليها بالنواجذ فإن تمسككم بها كتمسككم بكتاب الملك وما جاء به رسوله من عنده فقال لهم الملك . ألم أقل لكم فى كتابى . لا أكلهكم بما لا طاقة لكم به . قالوا بلى . فلفريق الأول هو مثلى ومثل أصحابى وأمثالى . والفريق الثانى هو مثلك ومثل أمثالك . انتظر يوم اللقاء ترأينا أعذر وعذر أيأ أقبل . وحاصل معذرتنا ومعذرتكم . أن تقول أخطأنا ونحن قاصدوا اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم . وتقولون أخطأنا ونحن قاصدوا اتباع أئمتنا رحمهم الله قال تعالى . قل كل من ربص فتر بصوا فاستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى .

قال المقلد : يخ بلغ بك عليك إلى حد تشككم به على أهل المذاهب وأئمتهم وأنت غير صالح أن تكون تلميذا لهم ولا أقل من ذلك وتعترض على من لست له بكفء أما تستحي .

قال السافى : هذا حظك من الحجة ولا شك في فضل الأئمة الأربعة وأنهم خير منى ومن أمثالى بمراحل ولكن لا يلزمنى بذلك أن أترك كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأتبعهم فيما اجتهدوا فيه أو نسب إليهم وهم براء منه بعد ما استنارت الحجة من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم . وحاشا أن أتكلم عليهم ولا ينبغى لى ذلك بل يستحقون منى الشناء الجميل والدعاء الصالح . وأنا أولى بهم منكم لأنهم أئمة الدين بعد الصحابة والتابعين وأنا على أثرهم إن شاء الله تعالى . قال تعالى : إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، إنما اعترضى عليكم بأعمالكم التى تعملونها ولم ينزل الله بها من سلطان . وتنسبونها إليهم وهم براء منها وما تعملون . ولو كانوا أحياء لقاطعوكم ولتبرء وامنكم . وكانوا رحمة الله عليهم يؤثرون الكتاب والسنة على قول كل واحد كائنا من كان . ثم الصحابة رضوان الله عليهم عكس ما أنتم عليه اليوم . وهذه أقوال الصحابة والتابعين وتابع التابعين والأئمة الأربعة ومن تبعهم باحسان . تقضى عليك بأن تتبع الكتاب والسنة . ثم الأثر وها أنا أذكرها لك مختصرة . ومن ذلك ما أخرجه الترمذى عن ابن شهاب أن سالما بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم (حدثه أنه سمع رجلا من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عبد الله عن التمتع بالعمرة فقال عبد الله بن عمر . هى حلال . فقال الشامى ان أباك كان ينهى عنها فقال عبد الله بن عمر . أرايت ان كان أبى ينهى عنها وصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى يتبع أم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . حسنه

كلام ابن العز رحمه الله - قل الامام مالك - انما انا بشر اخطى واصيب فانظروا في رأسي فكل ماوافق الكتاب والسنة نفذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه - وقال ايضا . كل واحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ايضا . ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر - قال ابن القيم - قال ابن وهب سمعت مالكا يقول الزم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : أمر ان تركتهما فيكم لن تضلوا ما تمسكن بهما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم - وقال ابن القيم - قال مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امام المسلمين وسيد العالمين إذا سئل عن شيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء . فإذا كان رسول رب العالمين لا يجيب الا بالوحي والا لم يجب فمن الجراءة العظيمة إجابة من أجاب برأيه أو قياس أو تقليد من يحسن الظن به . أو عرف أو عادة أو سياسة أو ذوق أو كشف أو منام . ذكره الفلاني في ايقاظه . وكان مالك رحمه الله إذا أفق برأيه يقول ان نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين . ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم - قل الشافعي رحمه الله اجمع الناس على من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول أحد وقال ايضا مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثله حاطب ليل يحمل حزم حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري - قال الامام احمد - سألت الشافعي عن القياس فقال عند الضرورة . نقله البيهقي في مدخله . ونقله غيره قل الربيع قال الشافعي لم اسمع أحدا نسبته الى العلم أو نسبته العامة الى العلم . لم أو نسب نفسه الى علم يحكي خلافا في ان فرض الله تعالى اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه فإن الله تعالى لم يجعل لأحد بعده الا اتباعه . وانه لا يلزم قول رجل قال الا بكتاب الله تعالى أو سنة رسول الله صلى الله

عليه وسلم . وان ماسواهما تبس لهما وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا
ومن قبلنا قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الربيع قال :
الشافعي . ما كان السكتاب والسنة موجودين فالعذر على من سمعهما مقطوع
الا باتباعهما فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى اقاويل أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم — وقال الربيع — سمعت الشافعي وقد سأله رجل عن مسألة فقال يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كذا وكذا فقال له السائل يا أبا عبد الله
اتقول بهذا فارعد الشافعي واصفر وحال لونه وقال ويحك رأى أرض تقلني
وأى سماء تظلني إذا رويت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم أقل به نعم على
العين والرأس . ذكره الفلاني في ايقاظه قال ابو داود قلت لأحمد : الأوزاعي
أتبع أم مالكا . قال لا تقلد دينك احدا من هؤلاء وما جاء عن النبي صلى
الله عليه وسلم وأصحابه نخذه . ثم التابعين بعد . الرجل فيهم مخير . ذكره
الفلاني في ايقاظه . وقال ايضا . عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون
الى رأى سفيان وغيره . والله يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان
تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) وقال ايضا . لا تقلدني ولا الأوزاعي
ولا الثوري وخذ من حيث اخذوا . ذكر في فتح المجيد . وقال ايضا . رأى
ورأى الأوزاعي ورأى مالك ورأى ابى حنيفة كله رأى وهو عندى سواء .
وإنما الحجة فى الآثار . ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم . وقال عمر بن
عبد العزيز رحمه الله . سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور
سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله تعالى واستعمال لطاعته وقوة على دين الله
ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى من خالفها واتبع غير سبيل
المؤمنين ولأه الله ماتولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا — ذكره القاضى
عياض فى شفاؤه — وقال ابو عمر فى جامع بيان العلم . انه كتب الى الناس انه

الترمذى وصححه ، انظر أيها المقلد إلى جواب الصحابي الجليل كيف ردا جهاد
ولده لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والده ومن والده هو عمر بن
الخطاب الملقب بالصواب وهو ما لا تخفى مناقبه لدى بني الدنيا مؤمنهم وكافرهم
وهو أحد الخلفاء الذين قال فيهم رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم (عليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) اعتبر ان كنت ذا بصيرة . وقال ابن عبد البر
في جامع بيان العلم . ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول (ان أصحاب
الرأى أعداء السنن اعييتهم أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين
سئولوا ان يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم) وقد سئل ابن عمر
هن الصلاة في السفر فقال ركعتان من خالف السنة كفر ذكره ابن عبد البر
في جامع بيان العلم وعن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل
عبد الله بن عمر رضى الله عنه . فقال يا أبا عبد الرحمن انا نجد صلوات الحضر في
في القرآن ولا نجد صلوات السفر . فقال ابن عمر رضى الله عنهما . يا ابن أخي
إن الله بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه
يفعل . ذكره القاضى عياض في شفاؤه - وعن بلال بن عبد الله بن عمر رضى
الله عنهم ان أباه عبد الله بن عمر قال يوما . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد) قال فقلت . أما أنا فسامع أهلى فمن
شاء فليسرح أهله . فالتفت إلى وقال لعنك الله لعنك الله لعنك الله تسمعن
أقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن لا يمنعن وقام مغضبا - ذكره
الفلافي في ايقاظه . قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الله الحداد عن مالك بن
دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ليس منا أحد إلا يؤخذ من
قوله ويدع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكر في فتح المجيد . وذكره
الفلافي في ايقاظه . وقال أبو حنيفة رحمه الله . إذا جاء الحديث عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس
والعين وإذا جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال . وقال أيضا . إذا قلت
قولا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قرولى لكتاب الله . ذكر فى فتح المجيد وذكره
الفلافى . وقال الشعرانى وهذا الامام الهمام أبو حنيفة كان إذا يفتى يقول هذا
ما قدرنا عليه فى العلم فمن وجد أوضح منه فهو أولى بالصواب وقال أبو يوسف
تلميذ أبى حنيفة . لا يحل لامرئ أن يقول بما قلنا حتى يعلم من أين قلنا وقال
زفر تلميذ أبى حنيفة - انما نأخذ بالرأى إذا لم نجد أثرا فإذا جاء الأثر تركنا
الرأى وعملنا بالأثر - وقال ابن العز الحنفى - وما يقع لأئمة الفقهاء من هذا
أى من ترك العمل بالحديث . فهم مأجورون مغفور لهم . ومن تبيير له شيء
من ذلك لا يعذر فى التقليد . فان أبا حنيفة وأبا يوسف رحمهما الله ولا يحل
لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم علم من أين أخذناه فان كان الرجل متبع لأبى حنيفة
أو مالك أو الشافعى أو احمد رحمهم الله ورأى فى بعض المسائل مذهب غيره
أقوى منه فاتبعه كل قد أحسن فى ذلك ولم يقدح ذلك فى دينه ولا فى عدالته
بلا نزاع بل هذا أولى بالحق واحب إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم . فمن يتعصب لواحد معين غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرى
ان قوله الصواب الذى يجب اتباعه دون الأئمة الآخرين فهو ضال
جاهل بل يكون كافرا يستتاب فان تاب وإلا قتل فإنه متى اعتقد أنه يجب
على الناس اتباع واحد بعينه من هذه الأئمة رضى الله عنهم دون الآخرين
فقد جعله بمنزلة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك كفر . بل غاية ما يقال
أنه يسوغ للعامة ان يقلدوا أحد الأئمة بغير تعيين زيد ولا عمر وأما من
كان محبا للأئمة مواليا لهم يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق
للسنة فهو محسن فى ذلك . وهذا بعض ما ذكره الفلافى فى إيقاظه من

عن فلان ، ما حلفك أن تسجن ثم لا تخرج حتى ترجع عن هذا . أخرجه
الترمذى وقد جمع ابن دقيق العيد رحمه الله المسائل التي خالف فيها مذهب كل
واحد من الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى الحديث الصحيح انفرادا واجتماعا
في مجلد ضخيم وذكر في أوله أن نسبة هذه المسائل إلى الأئمة المجتهدين حرام
وأنه يجب على الفقهاء المقلدين لهم معرفتها لئلا يعزوها إليهم فيكذبوا عليهم
قال القلاني في ايقاظه هكذا نقله عنه تلميذه الأدقوى في تذكرة عيسى الثعالبي
الجعفرى الجزائرى رحمه الله . وروى عن سليمان بن موسى قال يجلس إلى العالم
ثلاثة : رجل يأخذ كل ماسمع ورجل لا يحفظ شيئا وهو جليس العالم ورجل
ينتقى وهو خيرهم قال وإذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وطاعته شامية
فإنه لرجل . وقال أيضا يجلس إلى العالم ثلاثة رجل يكتب كل ماسمعه فذلك
كحاطب ليل ثم ذكر مثله إلا أنه قال إذا كان فقه الرجل حجازيا وادبه
عراقيا فقد كمل . انظر وانت خبير بما يعنى من كلامه . وإلى هنا حسبك إن
كنت تسمع وتعقل . وما ذكرته لك شئ يسير من أقوال الصحابة والتابعين وتابع
التابعين والأئمة الأربعة وأمثالهم ومن تبعهم باحسان من أهل العلم رضوان الله عليهم
وحاصل أقوال هؤلاء الكرام والأئمة العظام تفيدك علم اليقين وتوجب عليك اتباع
الكتاب والسنة ثم الأثر عند فقدهما . وقد سبققت الأدلة من الكتاب والسنة الموجبة
اتباعهما دون غيرهما ولم يبق معك شئ تتمسك به بعد سوى أن تقول .
أنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . وهذا القول هو نهاية كل
من يجادل بدون حجة . والحاصل أنه بالأدلة السالفة من الكتاب والسنة وأثر
الصحابة وأقوال الأئمة ونحوهم تبين وظهر أن ما أنتم عليه خلاف كتاب ربكم
وسنة نبيكم وأثر أصحاب رسول ربكم رضوان الله عليهم وخلاف ما أمرتكم
به أئمتكم رحمهم الله . وما انتسابكم إليهم إلا كانتساب أحبار أهل الكتاب إلى

أنبيائهم لأن أنبياءهم أمرهم أن يتبعوا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حين ظهوره فكفروا به وخالفوه حين ظهر . ومخالفته صلى الله عليه وسلم تتضمن مخالفة أنبيائهم لأنهم هم الذين أمرهم أن يتبعوه بخالفوه حين ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يستحووا ويزعمون أنهم متبعون لهم كما يزعمون أنتم اتباع أئمتكم مع مخالفتكم لهم بمخالفة الكتاب والسنة الذين أمروكم أن تأخذوا بهما حين ظهورهما . ثم اعلم أن القياس والرأى ليس شيئا يعتمد عليه في الدين إنما هو شيء يرجع إليه في الحادثة التي لم يوجد لها النص من الكتاب والسنة والآثر والدليل عليه . ما أخرجه أبو داود بسند عن أناس من أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعثه إلى اليمن (قال له كيف تقضى إذا عرض لك القضاء . قال أقضى بكتاب الله تعالى . قال فان لم تجد في كتاب الله تعالى . قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله . قال أجتهد رأى ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله) هذا الذى تدين به ربك وتدنن حوله وهو لا يجوز استعماله إلا عند الضرورة . كما ذكره الشافعى . وزفر . والشعبي آتفا . وكما ذكر هنا عن معاذ عند فقد الحكم من الكتاب والسنة ثم إذا وجد الدليل بطل العمل به كما يبطل التيمم بوجود الماء وزوال العذر المانع من استعماله . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال سبحانه وتعالى « إنك لا تسمع الموق » وقال الشاعر :

لقد أسمعتم لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

لعلك ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح للقياس وحمد الله حين ذكر له كما هو الظاهر من صنيعكم . ولقد أبعدتم ظنا وعكستم الموضوع .

لا رأى لأحد مع سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقال العز بن عبد السلام رحمه الله . ومن العجب العجيب ان الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مذهب امامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا وهو مع ذلك يقلده فيه ويترك من شهد له الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد امامه بل يتحيل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة فضلا عن مقلده وقد رأيناهم يجتمعون في المجالس فاذا ذكر لأحدهم خلاف ماوطن نفسه عليه تعجب فيه غاية التعجب من غير استرواح إلى دليل لما ألفه من تقليد امامه حتى ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه ولو تدبره لكان تعجبه من مذهب الإمام أولى من تعجبه من مذهب غيره . والبحث مع هؤلاء ضائع مقص إلى التقاطع والتدابير من غير فائدة تجذبها وما رأيت احدا رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره . بل يصر عليه مع علمه بضعفه وبعده . والأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال أهل إمامي وقف على دليل لم اهتد إليه ولا يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله . ويفضل الخصمه ما ذكره . من الدليل الواضح والبرهان اللامح فسيبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حملته على مثل ما ذكرته وفقنا الله تعالى لاتباع الحق اينما كان . وعلى لسان من ظهر . وأين هذا من مناظرة السالف ومشاورتهم في الأحكام ومسارعتهم إلى اتباع الحق إذا ظهر دليل على لسان الخصم — وقد نقل عن الشافعي : أنه قال . ما ناظرت أحدا إلا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه فان كان الحق معي اتبعني وان كان الحق معه اتبعته . وقال العز أيضا . لا اعتقد أن أحدا من المجتهدين انفرد بالصواب في كل ما خولف فيه أكثر من خطاه بالنسبة إلى كل من خالفه . والشرع ميزان

يوزن به الرجال والأقوال والأعمال والمعارف والأحوال فمن روجه ميزان
الشرع فهو راجح . ومعظم الناس خامسون وأقلهم راجحون فمن أراد أن
ينظر في خسره وربحه فليعرض نفسه على الكتاب والسنة فإذا وافقهما فهو
الراجح إن صدق ظنه في موافقتهما وإن كذب ظنه فيا حسرة عليه فإذا رأيت
إنسانا يطير في الهواء أو يمشي على الماء أو يخبر عن المغيبات . ثم يخلف
الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل ويترك الواجبات بغير سبب مجوز
فالم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة . فإن الدجال يحيي ويميت فتنة لأهل
الضلال وكذلك يأتي الخربة فتبث كنوزها ويظهر للناس أن معه جنة ونارا
وناره جنة وجنته نار . وما ذكرته هو مختصر عما ذكر الفلاني في ايقاظه عن
الامام المتفق على دينه وعلمه الذي قال فيه الإمام بن عرفة المالكي لا ينعقد
للمسلمين اجماع بدون عز الدين بن عبد السلام . وقال أيضا في قواعده (قاعدة)
لا يجوز رد الأحاديث إلى المذهب على وجه ينقض بهجتها ويذهب بظاهرها
فإن ذلك فساد لها وحط من منزلتها لا يصلح الله المذاهب لفسادها ولا رفعها
بخفض درجاتها فكل كلام يؤخذ منه ويرد إلا ما صح لنا عن محمد صلى الله عليه وسلم
ذكره الفلاني في ايقاظه : قال سفيان رحمه الله . إنما الدين بالآثار : وقال
ابن عبد الله التستري رحمه الله : ما أحدث أحد في العلم شيئا إلا سئل عنه يوم
القيامة فإن وافق السنة سلم والا فهو عطب . ذكره ابن عبد البر في جامع بيان
العلم . وقال الشعبي رحمه الله ما حدثك به هؤلاء من النبي صلى الله عليه وسلم فخذ
به وما قولوه برأيهم فالقه في الحشى وقال أيضا . الرأي بمنزلة ميتة إذا اضطرت
اليها أكلتها . ذكره الفلاني في ايقاظه . قال وكيع رحمه الله . أشعار البدن
وتقليدها سنة . فقال له رجل من أهل الرأي روى عن النخعي أنه مثله فغضب
وقال أقول لك أشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه وهو سنة وتقول روى

التابعين يعملون زمنا بعمل ويفتون به ثم يتركونه ويعملون ويفتون بضده .
ومن اشتهر بذلك الإمام الشافعي كان له مذهبان أحدهما يدعى قديما والآخر
جديدا . ولغيره أمثاله . ونحن مقتدون بهم في ذلك كله . الدين يسر ولم يجعل
الله في الدين من حرج .

قال السلفي : أما استدلالك بقوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون » فليس لك فيه حجة . نعم . الله سبحانه أمر عباده الذين لا يعلمون
الذكر أن يسألوا أهل الذكر عن الذكر حين جهلهم به . ولم يأمرهم أن يسألوه عن
آرائهم ويتفقهوا فيها ويتعبدوا بها من دون الذكر . بل أمرهم أن يسألوا أهل
الذكر عن الذكر الذي هو القرآن ومثله السنة حديث (اني اوتيت الكتاب
ومثله معه) قال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الله سبحانه
وتعالى أمرنا ان نسأل عن هذا الذكر الذي ضمن لنا حفظه لكي نهتدي به
إلى الصراط المستقيم . ثانيا . أمرنا ان نسأل أهل الذكر مطلقا بدون توقيت
بزمان دون زمن . وبدون حصر في عدد معين من أهل الذكر . وبدون
تعيين واحد من أهل الذكر لكل فريق من الأمة يتبعونه دون غيره من أهل
الذكر . والحاصل الدليل عام والدعوى خاصة . حيث خصصتم من أهل
الذكر الأئمة الأربعة ثم خصصتم لكل فريق من الأمة واحدا منهم . وهو
خلاف دليلكم وهو تخصيص بدون دليل التخصيص . ولم يوجب الله سبحانه
وتعالى قديما ولا حديثا اتباع شخص معين إلا الرسل صلوات الله عليهم
فمن أوجب اتباع شخص معين فقد ضارعه بالرسل صلوات الله عليهم كما سبق
عن ابن العز قال فمن يتعصب لواحد معين غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو ضال جامل . وأما قولك حصل الإجماع على تقليد الأربعة المذاهب دون
غيرهم فغير صحيح . أولا . ان أئمة الحديث كالبخاري ومسلم ونحوهما لم

يقلدوا أحد المذاهب بل كانوا يسكروهن تقليدا كتقليدكم التقليد الأعمى ويعيبون فاعله وخصوصا البخارى ثانيا المذاهب غير الأربعة كانت موجودة في زمن الأربعة واستمرت بعدهم إلى أن انقطعت بطبيعتها لا بالإجماع . ومن جملة ما صار سببا لانقطاعها كان ولاية الأمور من الأربعة المذاهب . وكانوا يصيدون من لم يكن مقلدا للمذاهب الأربعة بمكروه ما استطاعوا هم ورعاياهم كما هو مستمر إلى وقتنا هذا . فبذلك ترك الناس مذاهبهم عدا المذاهب الأربعة للخوف على انفسهم . ورغبة في المناصب السكبار حيث كان ولاية الأمور لا يولون المناصب السكبار إلا لموافقهم في تقليد الأربعة أوفى المذهب الخاص كما كان في عهد حكومة الأتراك لم يكونوا يولون القضاء إلا من كان حنفي المذهب ولذلك تخلف في عهدهم كثير من الناس في الأمصار ومن المذاهب المذكورة آنفا مذهب سفيان الثوري بالسكوفة والحسن البصرى بالبصرة . والأوزاعي بالشام والأندلس وغيرهما . وابن جرير الطبرى وأبو ثور ببغداد . وداود الظاهري في كثير من البلدان وغير ما ذكر من فقهاء الأمصار . فنتى حصل الإجماع الذى تدعيه . وأنى يكون الإجماع ومثل هؤلاء يخالفون المذاهب الأربعة ويعمل أهل الأمصار بمذاهبهم الزمن الطويل حتى انقطعت بطبيعتها سوى مذهب أهل الحديث فانه باق إلى يومنا هذا يعمل به في كثير من أمصار المسلمين وجليهم في الهند . والحاصل ان ما ادعيته من الإجماع على المذاهب الأربعة لم تتوفر فيه شروط الإجماع المعلومة لدى أهل العلم لما سلف آنفا . ولعل الإجماع عندهم هو عبارة عن الأكثرية . ودعوى الإجماع هى دعوى يدعيها ويلتجى إليها خلاصا كل مجادل عجز عن النصوح مع أن إثبات الإجماع أصعب وأصعب عليه . كما قال الإمام أحمد . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول ما يدعى فيه

نهاية ما فيه أن فيه مشروعية القياس والاجتهاد عند فقد الحكم في الأصلين .
 فحديث معاذ وإن كان ضعيفا ولا يمكنكم قد ولعتم به وجعلتموه أصلا عظيما لما
 انتم عليه وهو حجة عليكم فاستدلالي به على حسب زعمكم وعلى فرض صحته
 قال السلفي : ما الدليل على تقليد ذوى الأربعة المذاهب أبى حنيفة ومالك
 والشافعي . والحنبلي . رحمة الله عليهم . دون غيرهم من أهل العلم والاجتهاد .
 وما الدليل على تحليل بعض أشياء لمقلدى مذهب فلان . وتحريم ذلك الشيء
 بعينه على مقلدى مذهب فلان الآخر . وما الدليل على ابطال بعض أعمال
 لمقلدى مذهب فلان وجواز صحة ذلك العمل بعينه من مقلدى فلان الآخر .
 ألم يكن هذا مثل فعل قريش ومن دان دينها في جنين البحائر والسوائب . ألم
 ينكر الله ذلك عليهم . بقوله تعالى (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة
 لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركا) فجعلتم العلة في الحل
 والحرمة وصحة الأعمال وعدم صحتها هو الانتساب إلى مذهب فلان . وفلان .
 لا الدليل كما جعلت قريش علة الحل والحرمة : الذكورة والانوثة . فاذا أردتم
 صحة العمل أو استباحة شيء مما هو غير جائز في مذهب فلان . وجائز في
 مذهب فلان . قلتم لصاحب الحاجة قلد مذهب فلان فإنه حلال عنده وجائز
 عملك في مذهبه وخاصتموه بذلك من التقاء الساكنين . ألم يكن هذا تلاعبا
 بالدين . ألم يكن مثل فعل قريش في النساء . ألم ينكر الله عليهم ذلك بقوله
 (يحلون له ما يحرمونه عاما) فأحللتم له المحرم بدون دليل وصححتم له
 عمله بدون دليل بل بمجرد الانتساب إلى مذهب فلان . كما لم تحلل قريش
 الأشهر الحرم بحكم سناوى بل بمجرد تسميتها بغير اسمها فيا للعجب العجيب
 ألم يكن إلهه اليوم الذى أجاز عمله وأباح له حين قلد غير مذهبه هو إلهه
 بالأمس الذى أبطل عمله وحرم عليه حين كان مقلدا مذهبه الأول . أم صار

فيه اليوم غير فيه بالأمس . وليس كذلك اختلاف أهل العلم فانهم وإن اختلفوا لم يفرقوا دينهم . ولم يكونوا شيعة بل هم شيعة واحدة متفقة على طاب الحق وإشاره عند ظهوره وتقديمه على ما سواه فهم طائفة واحدة متفقة المقاصد . وأنتم لستم كذلك اختلفكم وانتقالكم من قول إلى قول باعتبار الانتمساب إلى المذهب بدون أية حجة .

قال المقلد: لدليل على الأول قوله تعالى فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وأيضا حصل الإجماع على تقليد الأربعة المذاهب دون غيرهم . واليوم كل من يقول لا إله إلا الله على مذاهبهم إلا من شذ مثلك . قال النبي صلى الله عليه وسلم (يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في المار) وقال أيضا (لا تجتمع أمتي على ضلالة) وأما تحليل بعض الأشياء لمقلدى مذهب فلان . وتحريم ذلك الشيء بعينه على مقلدى مذهب فلان الآخر . وجواز بعض أعمال مقلدى مذهب فلان . وبطلان ذلك العمل بنفسه إذا عمله مقلد ومذهب فلان الآخر وقد طعموا شيئا واحدا وعملوا عملا واحدا . هذا الاختلاف لم يتجدد في وقتنا هذا بل كان من زمن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يختلفون في المسائل الفرعية . وكان يرى بعضهم جواز بعض الأعمال وبعضهم يرى عدم جوازها . وكان يرى بعضهم حل بعض الأشياء . وبعضهم يرى حرمتها ونحن الآن على أثرهم . في ذلك كله وكل واحد منا يعمل بمذهبه . ولا يجوز لنا أن نلحق بأن نعمل نارة بمذهب فلان ونارة بمذهب فلان الآخر إلا بشرط محررة في مواضعها . والدليل الذى أخذ به إمام كل منا هو الذى أوجب علينا اتباعهم وتقليدهم وأما اعتراضك علينا بقولك . بأننا إذا أردنا استباحة بعض أشياء وجواز بعض الأعمال نفقد مذهب غيرنا . وشبهت ذلك بفعل الجاهلية في النسبته وهو من سوء فهمك وقلة معرفتك بالعالم لم تزل علماء الصحابة والتابعين وتبع

وتعالى أمة مع أنه فرد لأجل أن الحق معه ولقيامه مقام الجماعة . خامسا .
الحديث الذى أخرجه الشيخان عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم . (يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك
والخير بيدك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج بعثا إلى النار قال يارب
وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) فاعلمك علمت
وشعرت ان الشاذ كل من خالف الحق وان كثر عدده . والجماعة كل من كان
معه الحق وإن قل عدده . ولو كان فردا حقيقيا فى أعين الناس . الحق ليس
تبعا للرجل بل الرجال تبع للحق وبه يعرف الرجل ولا عكس . قال على بن
أبي طالب رضى الله عنه للحارث بن عبد الله الأعور الحوقى حين قال له أنتظن
ان طلحة والزبير كانا على الباطل) فقال له . يا حارث انه ملبوس عليك ان الحق
لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله) ذكره ابو عمر فى جامع بيان العلم
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله . ما فت طينه باهون من نفث قضاء قضيت
به فرايت الحق فى خلافه . ومما يستحسن من كلام . ارسطو قوله الذى قاله
حين خالف استاذه . أفلاطون . تخاصم الحق وأفلاطون وكلاهما صديق لى
والحق أصدق منه . ذكره الفلانى فى ايقاظه . وقال ابو العتاهية

رأيت الحق لا يخفى ولا تخفى شواكله

لعمر ك ما استوى فى الأمر عالمه وجاهله

وقال أيضا : إذا اتضح الصواب فلاتدعه فإنك كلما ذقت الصوابا

وجدت له على اللهوات بردا كبرد الماء حين صفا وطابا

وليس بمحكم من لا يبالي أخطأ فى الحكومة أم أصابا

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(يا عبد الله بن مسعود . قلت لبيك يا رسول الله . قال : اندري أى الناس أعلم . قلت الله ورسوله أعلم . قال : أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصرا فى العمل وإن كان يزحف على استه) ذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم . ولا ينقلب الباطل حقا لكثرة العاملين به وعظمتهم فى قلوب الناس . الحق صراط مستقيم لا يستطيع الخلق تبديله كما لا يستطيعون أن يبدلوا الأرض بغيرها . فهل ترى كثرة بعث النار دلت على هدام . أم لا . وهل اغنت عنهم شيئا من الله تعالى . أم لا . وأما استدلالك بالحديث . يد الله مع الجماعة : لملك ما فهمت معنى الجماعة من الحديث وظننت أنها كثرة العدد وليس كذلك . بل الجماعة كل من كان معه برهان من الله تعالى ولو فردا كما تقدم فى قوله تعالى : إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ، وأما قولك إن علماء الصحابة والتابعين وتبع التابعين رضوان الله عليهم كانوا يرجعون من عمل إلى عمل مما هو ضده بعد أن يعملوا به زمنا . نعم صدقت فيما قلت إلا أنه قول الحق أردت أن تزين به الباطل . فالفرق كبير بين عملكم وعملهم من أصله كان أصل عملهم رضى الله عنهم مبنيا على الأدلة ورجوعهم عما كانوا عليه للأدلة . أو اجتهد أحق وأولى من الاجتهاد الأول والرجوع لذلك حق واجب على كل مؤمن ومؤمنة . ولم يختص ذلك بمن ذكرتهم ولم يكن رجوعهم لأراء الرجال ولا لطلب الرخص . وقضاء الوطر بدون دليل مثلكم . وأما أنتم فاصل عملكم مبنى على آراء رجال مذاهبكم لا لدليل . وإذا رجعتكم إلى غير مذهبكم لم ترجعوا للدليل بل ترجعون لقضاء الوطر وطالب الرخص . ثم إذا قضيتكم وطركم من المذهب الذى رجعتكم إليه فى الجزئية رجعتكم عنه إلى مذهبكم فى نفس المسألة . وليس فى استطاعتك أن تنكر أن هذا ليس كفعل قريش فى النسبته وأما قولك الدين يسر إلى آخره

الرجل الإجماع فهو كذب . من ادعى الإجماع فهو كاذب . لعل الناس اختلفوا وما يدريه ولم ينته إليه . فليقل لانعلم الناس اختلفوا هذه دعوى بشر المريسي والأصم . ولكن يقول لانعلم الناس اختلفوا ولم يبلغنا ، انتهى كلام أحمد ونصوص الشارع أعز وأعظم من أن تترك بدعوى الإجماع الموهومة وحاشا أن تجتمع الأمة المحمدية على ما أنتم عليه . كيف تجتمع عليه والصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يخبر ويقول (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) متفق عليه . أما قولك الدليل الذي اخذ به إمام كل منا هو الذي أوجب علينا اتباعهم وتقليدهم . فأقول . أولا : بأى دليل وجب عليك اتباع إمامك وحرّم عليك اتباع غيره من أمثاله . بل لم يعهد في الدين توارث وتقفى رواية وعلم رجل واحد دون غيره إلا الأنبياء صلوات الله عليهم . فلوصح اتباع أفراد الأمة لكان أولى بالاتباع أفراد الصحابة لأنهم خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم . ولاخذهم الأحاديث عنه بالمشافهة . ثم كان الأولى بالاتباع من سائر الصحابة الخلفاء الأربعة لأمر الشارع اتباع سنتهم بقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدى فعضوا عليها بالنواجذ) فان كانت الأدلة أوجبت عليكم اتباع أفراد الأمة كما تزعمون فهلا اتبعتم أبا بكر فهلا اتبعتم عمر . فهلا اتبعتم عثمان . فهلا اتبعتم عليا . فهلا اتبعتم العبادلة . فهلا اتبعتم سائر الصحابة رضوان الله عليهم . فقد دلت الأحاديث على هؤلاء على عمومهم وخصوصهم . فإن متبعوهم أو مقلدوهم . أم تقولون من لم يدل عليه الدليل أولى بالاتباع والتقليد . ثانيا . أقول على فرض صحة دعواك أنها تتبعه من ينتسب منكم إلى العلم وعلم جميع أدلة امامه وصحتها . ولن يوجد فيكم من هو بهذه الصفة وعلى فرض وجوده فيكم لم يكن مقلدا بل هو من أهل الأدلة

إلا أنه خاطيء بانحيازهم إلى جهة خاصة . والتقليد عندكم هو الأخذ بقول
 امام من الأئمة بدون دليل . وأما استدلالكم بكثرتكم على هدايتكم .
 واستدلالكم علينا بالشذوذ فلفلتنا فما اضعفها من حجة وأوهاها . ألم ترونكم
 ان المخطين هم أكثر عددا في وجه الأرض من أهل الحق . أولا . أنظر
 إلى أنواع الكفار تجدهم أكثر عددا من أنواع المسلمين . ثانيا . سبحانه
 وتعالى . نفى العقل والعلم عن الأكثرين بقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا
 فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر
 الناس لا يعلمون ، وقال تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
 وأكثرهم لا يعقلون ، وقاله ان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل
 الله ان يتبعون إلا الظن ، وقال تعالى في الفيليين ، اعلموا آل داود شكرا
 وقليل من عبادي الشكور ، وكانت الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم تبعث
 فرادى إلى أممها . منهم من اتبعه الجميع الكثير ومنهم من اتبعه ثلاثة ومنهم
 من اتبعه اثنان ومنهم من اتبعه واحد . ومنهم من لم يتبعه أحد . ثالثا . قال
 النبي صلى الله عليه وسلم (تجدون الناس كمايل مائة لا يجد الرجل فيها راحة)
 رواه مسلم . رابعا . الحديث الذي أخرجه ابو داود عن معاوية رضى الله عنه
 قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ان من كان قبلكم من أهل
 الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين دلة . وان هذه الأمة ستفترق على ثلاثة
 وسبعين ملة . اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة) وهذا
 الحديث مفسر للحديث الذي توهمت فيه وظننت منه أن مجرد السكثرة هي التي
 تدعى الجماعة . أنظر في هذا الحديث فقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرقة
 الواحدة جماعة دون اثنتين وسبعين . ولا مناسبة بين اثنتين وسبعين وبين
 فرقة واحدة . وقال تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ، سماه سبحانه

لاشك أنه يسر في نفسه ثم إذا حدث عذر للهؤ من يصير أيسر وأيسر بحكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بدون تحيل بحيل الرجال التي لا تسمن ولا تغنى إلا أن ترميك في المهالك . وذكر عن عبد الله بن المبارك - أنه سئل عن رجل حلف بالطلاق أن لا يتزوج . ثم بداله أن يتزوج هل له من رخصة أن يأخذ بقول الفقهاء الذين رخصوا في هذا . فقال ابن المبارك . إن كان يرى هذا القول حقاً من قبل أن يبتلى بهذه المسألة فله أن يأخذ بقولهم . فأما من لم يرض بهذا فلما ابتلى أحب أن يأخذ بقولهم فلا أرى له ذلك . رواه الترمذى . هذه حكومة عدل . وهكذا ذكرته لك للفرقان الذى بين أصل عملهم وعملكم ورجوعهم ورجوعكم . ولكن نفس رجوع العلماء الذى استدلت به هو حجة عليك لإبطال التقليد باقرارك أنها تصدر عنهم أقوال وأفعال متناقضة ومن هذا صفته لا يجوز لمسلم أن يقلده دينه . لعدم ثبوته على قول وعمل واحد . اليوم يقول قولاً ويعمل عملاً وغداً يرجع عنه . وما يدريك أن إمامك رجع عن اجتهاده الذى أنت متمسك به لدليل وجده فإن قلت إمامى لا يقول أصلاً إلا بالدليل . وغيره هو الذى يقول بدون دليل . قلت كيف علمت أن إمامك قال بالدليل وقد أقررت أنك لا تعلم الدليل ولا تفقهه ولذلك تقول قلدته . ماللاًعى ونقد الدراهم . فان رجعت عن قولك السابق واعترفت أنك تعلم الدليل وتفقهه فقد ابطلت استدلالك السابق وأصبحت من أهل الأدلة كإمامك وطولبت بالأدلة التى قال بها إمامك . وبدون شك لن تجد لكل مسألة فقهية فرضتموها دليلاً . وقد كانت تخفى بعض السنن عن الصحابة الكرام فضلاً عنك وعن إمامك . وقد قال

القائل

إذا أعيى الفقيه وجود نص تعلق لا محالة بالقياس
(٦ تحكيم الناظر)

وهذا أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما قد خفيت عنهما بعض السنن مع سعة علمهما وملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خفي على أبي بكر توريث الجدة . وخفي على عمر توريث المرأة من دية زوجها وحديث الجنين . وحديث الاستئذان كونه ثلاث مرات . فإن خفيت بعض السنن عنهما فخرى أن تخفى على غيرهما . فإذا اعترفت أن إمامك غير محيط بالسنة . قلت . هل ترى أن إمامك معصوم عن الخطأ فيما اجتهد فيه أم يجوز عليه الخطأ . فإن قلت بالعصمة فلا سبيل لك إليه وإن قلت بعدم العصمة . قلت ما يؤمنك أن إمامك أخطأ في بعض ما أنت مقلده فيه . فإن قلت خطؤه مغفور له ولمن تبعه . كذلك قلت نعم . هو مغفور له لبذله ما في وسعه من الجهد طالبا للصواب . وأنت مأزور لعدم طالب الحق ولتركك النصوص التي كان هو فاقدها بعد ما اطلعت عليها لإشارتي لقول إمامك فهذا افتراقنا . والله الموفق للصواب . وأما قولك إنكم على أثر الصحابة وأن اختلافكم كالاختلاف الذي كان بينهم رضى الله عنهم . فيا حبذا من دعوى لو صحت . وذلك ما كنا نبغى وضاللتنا التي نناشدكم عنها ونتمسكونها علينا ولكن ابن اثري من الثريا هيأت هيأت بين اختلافهم واختلافكم لأن اختلافكم هو عين مخالفتهم ومن أنى لك أن تستدل باختلافهم على اختلافكم . إنما هو قول الحق أردت به الباطل لتوهم بمجرد لفظ الاختلاف على الجملة . مع أنك تعلم أنى لم أنكر ولم أنف اختلاف أهل العلم في النصوص وفي فهم النصوص . إنما أنكرت عليك ترك العمل بالسكتاب والسنة . واستبدلتهما بالآراء . وإيجاب تقليد الأئمة الأربعة . وحصص الحق في مذاهبكم الأربعة . ورد ما عدا ذلك سوام جاء ذلك من السكتاب والسنة أو الأثر . وجعل علة حمل الأشياء وتحريمها على العباد وصحة أعمالهم وبطلانها مجرد الانتساب إلى مذهب فلان وفلان

بدون دليل . هذا الذى انكرته عليك . وأما اختلاف الصحابة الذى زعمته أنه حجة لك لم يختلفوا لعصية مذهب الآباء والأجداد والوطن مثلكم . ولم يجعلوا الحق قسمة بينهم . إنما كان اختلافهم رضى الله عنهم بالنصوص وفى فهمها . والاختلاف بالنصوص وفهمها ليس كمثل اختلافكم المذهبي . بل هو علم وفهم يؤتيه الله لمن يشاء من عباده . قال تعالى : وفهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ، أثبت سبحانه وتعالى العلم للطرفين وأثبت لسليمان إصابة الحق . وهذه الآية من الأدلة التى تفيد أن الحق عند الله واحد . ولعل أن يكون الاختلاف فى عصر الصحابة أكثر من بعدهم . وهو الظاهر لتفرق الأحاديث فى صدور الرجال فى عصرهم . ولم تكن مدونة بمجموعة إذ ذك كالיום . وذلك الذى صار سببا لاختلافهم فى النصوص . وكل واحد منهم كان يعدل ويفتى بما عنده من النصوص وما يستنبطه منه ولم يجدوا فراغا لملازمة النبي صلى الله عليه وسلم لسكثرة شواغلهم بالمغازى وغيرها من أمر المعاش وكانوا مهنة أنفسهم . ولم يكن لهم خدم يغنونهم عن العمل كما قالت عائشة رضى الله عنها فى حديث غسل الجمعة . فلذلك كان يغيب بعضهم عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا ويحضره أحيانا . فيكتسب الحاضر علما لم يكتسبه الغائب وقد يغيب الحاضر ويحضر الغائب فيكتسب علما لم يكتسبه الغائب . وقد يحضر بعضهم الحديث الناسخ ولم يحضره من له علم بالنسخ والمطلوع . وقد يحضر بعضهم الحديث الخاص . وقد يحضر بعضهم الحديث المطلق وبعضهم الحديث المفيد وهم جرا . فيعمل كل واحد منهم ويفتى بما عنده من النصوص وما يستنبطه منها حتى يبلغهم عن الشارع ما يخالف مألوفهم . وكان بعضهم يعدى حكم المنصوص عليه إلى غير المنصوص عليه بالعلة الجامعة بينهما وبعضهم كان يقف على حد النص ولم يقس كرضاع سالم

قاست عليه عائشة غيره وبقيت امهات المؤمنين لم يقسن عليه رضى الله عنهن
وهكذا كان التابعون لهم باحسان المنسوبة إليهم الدعاوى العظام التي هم برءاء
منها . ثم بعدا اختلافهم رضى الله عنهم في الاجتهاد والاستنباط وغيره إذا
باغهم حكم عن الشارع مخالف لما هم فيه تركوا مآلديهم وبادروا إلى الحق
واعتقوه وفرحوا به أشد الفرح : ولم يقولوا كقولكم هذا ليس دليلنا بل
دليل الفلانيين . إذا لم يكن وفق مذهبكم ومن ذلك ما رواه الشافعى عن سفيان
عن الزهرى عن ابن المسيب . أن عمر كان يقول (الدية للعاقلة ولا تراث
المرأة من دية زوجها شيئا) حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم — كتب إليه أن ورث امرأة أنثى الضبان من دية فرجع
إليه عمر رضى الله عنه . وقال ابن عمر رضى الله عنهما (كنا نخابر ولا نرى
بذلك بأسا حتى زعم رافع . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها
فتركناها من أجل ذلك) وقال عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله رضى الله
عنه — أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن الطيب قبل زيارة البيت
وبعد الجمرة . فقالت عائشة رضى الله عنها (طيبت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبدى لأحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم أحق) . قال الشافعى — ترك سالم قول جده لروايتها
— قال ابن عبد البر وابن تيمية هذا شأن كل مسلم . لا كما تصنعه فرقة التقليد
— ذكره الفلافي في إيقاظه . وهذا قليل من الكثير . بما لا تسع ذكر أفراده
هذه الرسالة . وما كانوا رضى الله عنهم يرون أن الشيء الواحد والعمل الواحد
يكون مباحا وجائزا لبعض المسلمين لا تنسابهم إلى مذهب عالم من العلماء . وباطلا .
وحراما في حق بعضهم لا تنسابهم إلى عالم آخر بعللة الانتساب لا بالدليل .
بل كان أحدهم إذا علم حكما من الكتاب والسنة اعتقد ذلك لجميع الأمة

وكذلك إذا استخرج حكماً باجتهاده اعتقد ذلك لجميع الأمة في الحل والحرمه وان خالفه في ذلك غيره من أهل العلم . ولا نكارة في اختلاف أهل العلم في النصوص وفهمها وفي كيفية استخراج الأحكام منها . واستنباط الدليل للأحكام التي لم يرد بها النص أو ورد بها ولكن لم يطلع عليها بعضهم . وإنما النكارة والخفية دلي من يتمادى في الباطل بعد وضوح الحق من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم للتعصب المذهبي . ومثل اختلاف الصحابة رضي الله عنهم ومن نحائهم هو علم وفهم يؤتيه الله لمن يشاء من عباده . ولا شك بأن أهل العلم يتفاوتون في الفهم والاستنباط يستنبط بعضهم ما لم يستطع أن يستنبطه البعض الآخر . ولكن لا يلزم من ذلك أن كل من كان منهم أقوى فهماً وأكثر علماً أنه لا يخطئ . وأنه يتبع بعد ظهور الحجة من الكتاب والسنة المخالفة له للعلماء ولعلماء . كما ذكر ابن القاسم . عن مالك أنه قال . ليس كل ما قال رجل قولاً يتبع وإن كان له فضل . لقوله تعالى ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وكان سعيد بن المسيب يقول : ليس من عالم ولا شريف ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهبه نقصه لفضله كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله . وقال غيره . لا يسلم العالم من الخطأ . فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو عالم ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً فهو جاهل . ذكره ابن عبد البر . ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم أحزباً في الدين ولم يتخذ منهم عدد معين أئمة تتبعهم العوام كالبوادي ونحوهم لا يقبل كل فريق منهم إلا ما نقل عن إمامهم بل كان العامي في عصرهم يسأل أى عالم يحده فيفتيه العالم ولا يسأل العالم عن مذهب العامي . ولا يسأل العامي عن مذهب العالم لعلم الطرفين بأن دين الاسلام واحد وحكم الله فيه واحد والحق واحد لا يتغير بالانتساب إلى المذاهب لاتحاد الحق . وأما اختلافكم أنتم اليوم

اعاذنا الله منه هو خلاف لاختلاف . إنما هي أصول اصلتموها
واخترعتموها من أنفسكم وجعلتموها ديناً يعبد به الله سبحانه وتعالى على
ما أنزل في كتابه وكافتم العوام العمل بها . واوجبتم عليهم أن يتبع كل
شخص منهم مذهب أبويه وأهل بلده وحرمت عليهم مخالفة مذاهبهم التي
نشئوا فيها مطابقاً سواء في ذلك ما خالف الكتاب والسنة والآثر . أم لا .
وجعلتم عهدة الأدلة على الأئمة البراءة ، وحصرتم الحق بين الأربعة المذاهب
وجعلتموه قسمة بينكم . وما جاء مخالفاً للأربعة المذاهب فهو باطل لا يقبل
من حيث أن لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الآثر . بناء على أن الحق
محصور في المذاهب الأربعة . وفي الحقيقة لو أنعمتم لوجدتم الحق محصوراً
في الأولين ثم الثالث وما خالف ذلك فهو باطل من وساوس الشيطان .
وجعلتم عذراً للتقليد هو عدم استطاعتكم فهم الكتاب والسنة من بعد الأئمة
ولكني أراكم إذا وجدتم من الكتاب والسنة ما يوافق مواهبكم فهمتم معناه
واستدلتم به على مقابلكم ومناظركم ودندنتم حوله فرحين واطنبتم فيه .
وإذا خالف مواهبكم تجاهلتموه . وجهلتم غيركم ورميتم به يمينا وشمالاً بلعلها
ولعلها . وإذا اعترض عليكم السني على بعض أعمالكم التي تخالف الكتاب
والسنة والآثر مقتموه وقلمتم له أن إمامنا أعلم منك ومن هو خير منك بالكتاب
والسنة والآثر فما يكون انت بجانبه العظيم . فان لم يكن لإمامنا دليل ما قال
به ، أو قلتم هذا الحديث مؤول عندنا ومحمول على كيت وكيت وحملتموه على
غير محمله . وتصرفتم فيه كيف شئتم نصرة لمذاهبكم ونضالاً عنها ثم زعمتم المعترض
عليكم بكل قبيح ونسبتم إليه ما هو بريء منه من قول أو فعل لسكى تشبهوا
سمعته وتنفروا عنه الناس ورأيتهم كأنه مرتكب الكبيرة عن الذنوب بل
أكبر من ذلك . ولم يذنب إلا أنه حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمر

ونهى كما أمر وإذا رأيتم يوماً أحداً يعمل عملاً يخالف بعض مذاهبكم اعترضتم عليه وقلتم له . لماذا صنعت كيت وكيت . فإن قال لكم فى مذهبنا الفلاى جائز رضيتم عنه وقلتم له ماشاء الله مذهبك مذهب فلان . وسررتم منه وصرتم اخوانا بذلك . وأما إذا قال لكم فعلته لما قال الله تعالى فى كتابه العزيز أولما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى اخرجه البخارى أو مسلم . أو أحد مخرجى الاحاديث . اشمأزت قلوبكم من قوله وسخطتم عليه . وقلتم هذا خامسى خارج عن أهل السنة والجماعة . والله يعلم انكم لكاذبون . وأنه أولى منكم بالسنة وهو مع الجماعة ولما لا تفقهون . ويحكم تغضبون على من يستدل بكتاب ربكم وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وترضون على من يستدل بأقوال الرجال . قال تعالى « ما قد رآه الله حق قدره » ولو قصدتم الحق والانصاف بدل أن تعيرووه لحاجتكموه بالكتاب والسنة كما أمر الله تعالى بذلك . قال تعالى « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » صلى الله عليه وسلم . فقد أمرنا سبحانه وتعالى أن نعرض ما اختلفنا فيه من أمر ديننا على الكتاب والسنة لكي يظهر لنا الحق من الباطل كما تعرض الصاغة التبر على النار ونحوه فيما إذا ارتابوا فيه أو اختلفوا فيه . فبالعرض على النار يظهر لهم المزيف من غيره وينقطع به النزاع والريب . فكذلك بالعرض على الكتاب والسنة يظهر الحق من الباطل . كما قال العز بن عبد السلام فيما سبق ولما لم تقبلوا العرض عليهما لأمرين : أولهما — ما بأيديكم حجج مزيفة غير نافعة . ثانيهما — وقر الشيطان فى قلوبكم أن جميع ما فى كتب مذاهبكم حق موافق للكتاب والسنة . ثم أكد عليكم ذلك بقوله . ولما كن أنتم ما تدركون معنى الكتاب والسنة . وما يتبادر فى اذهانكم فهو خيال . وأما معناهما الحقيقى فلا يعلمه لا الله . والراسخون فى العلم مثل الأئمة الأربعة .

فعليه مهما يأتيكم المناظر بالأدلة لم تقبلوا منه إنما تقولون له : إن مانحن عليه حق وفق الكتاب والسنة ولكن نحن وأنتم ما نفقه الكتاب والسنة . وقد أخبر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن كان قبلكم أنهم لو عاينوا الحق لقلوا مثل قولكم هذا . قال تعالى مخبرا عنهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقلوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) والجامع بينكم وبين من أخبر الله عنهم هو تكذيب النفس فيما تراه وتعاينه . وتكليفها وتصديقها بما لا تعاينه ولا تعلمه . وعذرتهم انفسكم بالعجز عن فهم النصوص الواضحة كالشمس كما عذروا أنفسهم بالسحر وسكر الأبصار بعد المعاينة . ثم عمدتم لمناظريكم إلى الجدل الذي أوتيتموه بدلا عن الهدى الذي كان فيه سلفكم . كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه . عن أبي أمامة رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل) ثم قرأ رسول الله هذه الآية ، ماض به لك الا جد لا بل هم قوم خصمون ، ومن عجائبكم أيضا اشتغالكم بالتفسير والآحاديث . ولحكم ترجعون إلى كتب فقهاء مذاهبكم . فكان اشتغالكم بهما اشتغال بما لا يعنى . وما أرى مثلكم إلا كمثل ساكنى حرم مكة يطالبون صيد الحرم ويركبون لطلبه السهل والوعر ولا يصطادونه لأنهم يرونه محرما عليهم اصطياده . إلا أنهم يحبون أن يروا حالاته ومواقعه فقط . فاذا احتاجوا إلى طعام عادوا إلى طعامهم المعتاد الذى لا بد منه كالذين لم يطلبوا الصيد . كما تعودون للعمل إلى مذاهبكم فلم يسعدوا بطلبهم الصيد الا بالعناء كما لم تسعدوا بطلب علم الحديث والتفسير إلا بالسهر والعناء وإقامة البيعة على انفسكم

قال المقلد : المذاهب الأربعة قد مضى عليها ثلاثة عشر قرنا ونيف بدون

نسكير . فلانت جئت اليوم وصرت تنكر عليهم . وقد مضت علماء فحول
خزائن العلم ولم ينكروا عليهم فما يكون إنكارك على الأربعة المذاهب إلا
كمثل البعوضة تحاول إزالة الجبل عن محله كما قيل

ياناطح الجبل العالى ليكلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل
قال السافى : نعم إنى لا أستطيع إزالة التقليد بعد ما أثربت اقلوب حبه
وورثتموه كابرأ عن كابر ولكن أستطيع إن شاء الله تعالى . كلها أتيتم برأى
أن أبطله بالأدلة القاطعة . كما قال القائل رحمه الله :

إذا ذو الرأى خاصم عن قياس وجاء ببدعة منه سخيقة
أتيهاهم بقول الله فيها وآثار مبرزة شريفة
وأما قولك إن العلماء لم ينكروا فيما مضى فهو خطأ بين . العلماء لم تترك
الانكار فى أى قرن قد نهوا بل وصنفوا فى ذلك . إلا أنه لم يؤثر لئسكن
التقليد من دلوب الناس . وعلى فرض أن من مضى من العلماء لم ينكر التقليد .
فعدم الانكار مع المعاينة من غير الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون
ذلك دليلا لتشريع ذلك الحكم .

قال السافى : هل ترى أن أهل المذاهب الأربعة كلهم على الحق والهدى
أم مذهبك على الحق وغيره على الباطل ؟

قال المقلد : كلهم على الحق والهدى . واختلفهم رحمة الحديث (اختلاف
أمتى رحمة) .

قال السافى : فما دمت ترون كلهم على الحق والهدى . لماذا تحكمون
ببطلان عمل مقلد مذهب فلان . إذا عمل عملا لا يصح فى مذهبه . ويصح
فى أحد المذاهب الثلاثة أو فى الثلاثة كلها . فما بعد الحق إلا الضلال . أو لم
يكن الحكم الذى يقبل عمل عامل منكم ويجزى به ويرده واحد . أم ليكل

صاحب مذهب منكم إله آخر شرع له شريعة على حدة ولا يقبل منه إلا ما شرع له . أم إله واحد ولكن الحق متعدد عنده . أم شرع لسكل صاحب مذهب شريعة على حدة لا يتجاوزها كالأنبياء . أبناء علات .

قال المقلد : الله واحد وشريعته في الاسلام واحدة . ولا يلزم من اختلاف أهل المذهب ما ذكرت . إنما هو من سوء فهمك وقلة إطلاعك على أقوال أهل العلم .

قال السلفي : وإن لم تقولوا ما ذكر بألسنتكم لكن سيركم لذى أنتم عليه اليوم ودينكم الذي تدينون به ربكم سبحانه وتعالى ينطق ويشهد بما ذكرنا من كرهتموه وأنكرتموه ألسنتكم وهو لا يستجيزه الصبيان فضلا عن العقلاء وفضلا عن العلماء . كون الله سبحانه وتعالى يقبل عمل زيد من المسلمين لا تنسأبه لمذهب فلان ويرد عمل عمر ومن المسلمين لا تنسأبه لمذهب فلان الآخر . وقد عملا عملا واحدا بصفة واحدة . فان قلت . اعتراضك هذا يخفى . القرون الثلاثة الفاضلة باتفاق المسلمين . أقول . لا يشملهم ولا يشمل من سار بسيرهم بل يخص من خالف سيرهم وجعل يحل ويحرم ويجوز ويبطل أعمال العباد بمجرد الانسأب إلى مذهب فلان وفلان بدون أى حجة من الشارع . فان كان مذهبه مذهب فلان جاز عمله بما لم يحز لو فعله . مقلد مذهب فلان الآخر . وحل له ما هو محرم على مقلد مذهب فلان الآخر . كما سوف تسمع من مفتيكم هذا يفتى على الأربعة المذاهب . أبى حنيفة . ومالك والشافعي . والحنبلى وهذا أول سائل له قال يا سيدى الشيخ . مسحت على ربع رأسى . قال الشيخ ما مذهبك ؟ قال حنفى . قال الشيخ . وضوءك جائز . سيدى الشيخ . مسحت على ربع رأسى . قال الشيخ ما مذهبك قال مالكى . قال الشيخ وضوءك باطل . سيدى الشيخ مسحت على ربع رأسى قال الشيخ ما مذهبك ؟ قال

شافعي . قال الشيخ وضوءك صحيح : سيدى الشيخ مسحت على ربع رأسى .
 قال الشيخ . مامذهبك . قال حنبلى . قال الشيخ وضوءك غير جائز سيدى الشيخ
 تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ مامذهبك . قال حنفى . قال الشيخ صلاتك
 باطلة . ما لم تكن معذورا . سيدى الشيخ تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ .
 مامذهبك . قال شافعى . قال الشيخ صلاتك صحيحة . سيدى الشيخ تنحنحت فى
 الصلاة قال الشيخ مامذهبك قال مالكى قال الشيخ صلاتك جائزة . سيدى
 الشيخ تنحنحت فى الصلاة . قال الشيخ . مذهبك قال حنبلى . قال الشيخ صلاتك
 باطلة . إلا أن يكون بالعدر . سيدى الشيخ أظن إذا صمت أنى أمرض . قال
 الشيخ ما مذهبك . قال حنفى . قال الشيخ يجوز لك الإفطار . سيدى الشيخ إذا
 صمت أظن أمرض . قال الشيخ مامذهبك . قال مالكى . قال الشيخ إذا ظننت
 مرضا شديدا وجب عليك الإفطار . سيدى الشيخ أظن يصيبنى مرض إذا
 صمت . قال الشيخ مذهبك قال شافعى . قال الشيخ لا يجوز ذلك الإفطار .
 سيدى الشيخ أظن إذا صمت أنى أمرض . قال الشيخ مامذهبك قال حنبلى قال الشيخ
 يسن لك الإفطار ويكره لك الصيام . سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل
 غروب الشمس . قال الشيخ مامذهبك قال حنفى . قال الشيخ حجك جائز
 ووجب عليك الدم لترك الواجب . سيدى الشيخ خرجت من عرفة
 قبل غروب الشمس . قال الشيخ مذهبك . قال مالكى قال الشيخ حجك
 باطل . سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل غروب الشمس . قال الشيخ .
 مامذهبك . قال شافعى قال الشيخ حجك صحيح ويندب لك الدم لترك السنة .
 سيدى الشيخ خرجت من عرفة قبل غروب الشمس . قال الشيخ . مامذهبك
 قال حنبلى . قال الشيخ حجك جائز ووجب عليك الدم لترك الواجب . سيدى
 الشيخ يحل لى أكل القنفذ . قال الشيخ . مامذهبك . قال حنفى . قال الشيخ حرام

عليك . سيدى الشيخ أيحل لى أكل القنفذ . قال الشيخ مامذهبك . قال مالكي
قال الشيخ حلال لك . سيدى الشيخ أيحل لى أكل القنفذ . قال الشيخ مامذهبك
قال حنبلى . قال الشيخ حرام عليك . سيدى الشيخ أيحل لى أكل القنفذ ، قال
الشيخ مامذهبك . قال شافعى . قال الشيخ حلال لك ، سيدى الشيخ أيحل لى
زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجت بشرط التحليل . قال الشيخ مامذهبك . قال
حنفى . قال الشرط باطل وحلت لك إن دخل بها مع لعنة تصيبك وتصيبه .
سيدى الشيخ أيحل لى زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجت بشرط التحليل
قال الشيخ مذهبك قال مالكي . قال الشيخ لا تحل لك ما لم تنكح نكاح الرغبة
ويدخل بها . سيدى الشيخ أيحل لى زوجتى المطلقة بالثلاثة إذا تزوجت بشرط
التحليل . قال الشيخ مذهبك قال شافعى . قال الشيخ . هذه المسألة فى مذهب
الشافعى فيها قولان . أحدهما . إن قال لها إذا حملت لأول فلا نكاح بيننا لم
تحل لك . والقول الثانى . إن قال لها إذا وطئتك فانت طالق فعلى القولين أيضا
فى القديم تحل لك وفى الجديد فلا تحل لك . سيدى الشيخ أيحل لى زوجتى
المطلقة بالثلاثة إذا تزوجت بشرط التحليل . قال الشيخ مذهبك . قال حنبلى
قال الشيخ لا تحل لك حتى تنكح زوجا آخر بنكاح صحيح بدون شرط التحليل
سيدى الشيخ هل يجوز لى نكاح الشغار . قال الشيخ مذهبك . قال حنفى . قال
الشيخ اسأل عن هذه المسألة علماء مذهبك لعله يجوز عندهم بصفة أن يفرض
لكل امرأة مهر مثاها . وأما أنا فلست على يقين من حكمها فى مذهبكم . وأما
عندنا فغير جائز لأنه نكاح منهى عنه . سيدى الشيخ أيحوز لى الاقتداء بالمتنفل
وأنا أصلى مكتوبة ، قال مذهبك . قال أفتينى باى مذهب كان لأن قصدى الفائدة
قال الشيخ كيف أفتيك وأنت لم تبين لى مذهبك لى أفتيك حسب ما فى
مذهبك . قال مذهبي السكتاب والسنة قال الشيخ أنت غير مقلد لأحد الأئمة

قال نعم . قال اذهب عني أنت خامسى المذهب التمس خامسيا مثلك واستفتته
قال ياسيدى الشيخ افتنى كما كنت تفنى للناس وكل سؤال ديني . قال الشيخ
الناس لهم مذاهب ليسوا مثلك . قال ياسيدى الشيخ ابتغى لى أن ابتغى مذاهبا
أفضل واهدى من الكتاب والسنة . قال الشيخ للطلبة أخرجوه عني هذا مضل
لايضلكم بكلامه هذا . قال سيدى الشيخ أن كان المتمسك بالكتاب والسنة
مضلا عندكم فما ترون حكم المتمسك بغيرهما . أفوض أمرى إلى الله فالتة المستعان .
وحسبى سيدى الشيخ أنى سوف أتوب إذا أخبرتنى بشيء واحد . قال الشيخ
ما هو . قال اخبرنى عما سيجاسبنى به ربنا سبحانه وتعالى حين القاه هل
سيجاسبنى عما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . أم سيجاسب كل شخص
منا حسب مذهب إمامه . فمن لقي الله منا وعمله وفق مذهب إمامه سلم .
ومن لقيه وعمله مخالف لمذهب إمامه عطب . ارشدنى هداك الله لكى الزم
عما أنا عنه مسئول ومحاسب قال الشيخ اسكت انت فى ضلالك القديم هذا
سؤال تعنت . فهل ترى هكذا كان اختلاف الصحابة واستفتاؤهم وفنواهم .
وهل ترى لو يرى هذه الحالة رجل عاقل خالى الذهن أيقظ أن هؤلاء أهل
دين واحد ومعبودهم واحد . كلا . ما يفهم منهم ذلك كيف يفهم منهم ذلك وهو
يرى كل سائل يأخذ حكمه على حدة حسب ما انتسب إليه من المذاهب . ولا يفتى
له حتى يبين مذهبه . وأما احتجاجك بحديث اختلافهم رحمة فغير صالح
الاحتجاج به لأنه ضعيف وغير معقول شرعا وعقلا أن يكون الاختلاف
أرحم وأولى للأمة من الاتفاق . بل الاتفاق أرحم وأولى . لحديث معاذ بن
جبل وأبى موسى الأشعرى حين بعثا إلى الين قال لهما النبى صلى الله عليه وسلم
(اتفقا ولا تختلفا) فاذا كان هذا الامر والنهى للشخصين فى اختلاف الأمة
أولى . قال تعالى « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » وعن ابن عباس

قال قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته (هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده) قال عمر بن الخطاب حسبكم كتاب الله . وقال غيره قربوا يكتب لكم . فلما أ كثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع) متفق عليه . والحديث أطول مما ذكر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم . في حديث آخر مخبرا بما سيكون بعده من الاختلاف ومحذرا عنه (فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) ولو كان في الاختلاف خير لما حذر عنه . والحاصل قد علم شرعا وعقلا حسن الانفاق وقبح الاختلاف . ولا حاجة لسرد الأدلة الواردة في ذلك . وعلى فرض صحة الحديث يحمل على اختلافات أهل العلم في الفهم واستنباط الأحكام للأشياء الخادئة التي لم يوجد لها نص فالناس على سعة في ذلك لهم أن يأخذوا بقول أى عالم ولا عتب عليهم . فعليه يكون معنى اختلافهم رحمة أى أن هذه الأمة غير مؤاخذه فيما اجتمعت فيه من أمر دينها لغير المنصوص عليه من كان منهم أهلا للاجتهاد إن أصابوا أو أخطأوا . فله عيب منهم أجران وله خطيئة أجر . والعامل بقولهم في ذلك غير ملام . ولا شك أن هذا رحمة من الله . وأما اختلافاتكم أتم اليوم انى معول عما ذكر لأنها شركات عملتموها مقابل النصوص وجعلتموها معيارا للنصوص . كل فريق منكم يرد نصا غير موافق لمذهبه . غيره لمذهبه ونضالا عنه . مع أنه كان الواجب عكس ذلك . بأن تردوا كل قول خالف النصوص الشرعية . فاذا قلتم لا بد لنا من لزوم الأقوال المنسوبة إلى أئمتنا لكان لكم لذلك سبيل بدون أن تردوا النصوص وذلك بأن يتولد كل منكم إمامه في الحكم الذى استنبطه من النصوص لغير المنصوص عليه فاذا فعلتم ذلك فقد جمعتم

بين النصوص والتقليد وإن كان هذا أيضا خلاف سبيل الساف ولكنه أهون بالنسبة إلى رد النصوص تجاهلا .

قال المقلد : تجرأت وخضت فيما لا طاقة لك به وشنعت على أهل المذاهب وخطأت الاجماع وقد جاء في الحديث إذا أصاب المجتهد فله أجران وإذا أخطأ فله أجر . وهذا دليل واضح بأن عمل كل مجتهد ومن تبعه صحيح ، مرضى وأن أخطأوا فخطئ . منهم مأجور أيضا بنص هذا الحديث فبهذا الحديث ظهر بأن اختلاف المجتهدين في المسائل الدينية لا يقتضى تعدد الآلهة ولا اختلاف المشروع وبه بطلت جميع حججك السابقة واللاحقة .

قال السلفي : الحديث الذى ذكرته غير معروف باللفظ الذى ذكرته إنما نعرف (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم فاجتهد وأخطأ فله أجر) منفق عليه . وهذا الحديث مورده خاص وهو فى حق الحاكم . ومع ذلك لم أنكر اجتهاد أهل العلم فهو أمر معروف شائع عند أهل العلم بدون تكبير . إلا أنى أقول ذلك بدون توقيت بزمان دون زمان . وبدون حصر على عدد معين . ولا شك أن اختلاف أهل العلم فى الفهم والاستنباط لا يقتضى تعدد الآلهة . ولا تعدد المشروع كما ذكرت . إنما الذى يقتضى ذلك وينطق بلسان حاله إما بتعدد الآلهة أو تعدد المشروع وتقليدكم الذى أنتم سائرون عليه اليوم حيث جمعتم علة الحل والحزمة وصحة الأعمال وعدم صحتها هو الانتساب إلى مذهب فلان وفلان . فبذلك جمعتم المسلمين على أربعة أقسام . وجمعتم لكل قسم منهم إماما خاصا يتبعونه كما تتبع الرسل صلوات الله عليهم . وقتلتم من عمل منهم خلاف ما فى كتب مذهب إمامه بطل عمله ولو وافق كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وأثر الصحابة رضوان الله عليهم أو أحد الأئمة الثلاثة أو غيرهم من أهل العلم

والفتوى . فان كانت المخالفة في الاعمال قلتم بطل عمله . وإن كانت في المطعوم
قلتم طعم شيئا محرما مع أنه طعم شيئا حلالا وعمل عملا جائزا في غير مذهب
إمامه . ومن عمل منهم وفق مذهب إمامه قلتم جاز عمله وطعم شيئا حلالا
وإن خالف الكتاب والسنة والآثر وبقية الأئمة الثلاثة . وصنيعكم هذا هو
الذى لا يخلو من أحد الأمور الأربعة لا محالة ولا بد أن تقولوا بواحد منها
اضطارا . إما أن تقولوا بتعدد الآلهة . تعالى الله عن الشريك . أو تقولوا
إن الأئمة كانوا رسلا وشريعتهم مختلفة كما هو عادة الله في رسله . كونهم
يتفقون في التوحيد . ويختلفون في بعض الفروع . أو تقولوا الحق متعدد
عند الله سبحانه وتعالى . أو تقولوا لم يسبق حكم من الله تعالى إنما الأحكام
تتجدد حسب اختلاف الأئمة المجتهدين . وإلا فيستحيل إصابة الحق جميعهم
في أمر واحد يختلف فيه الأربعة أو الثلاثة أو الاثنان . وهذا كله إن لم
تقولوه بألسنتكم وتعتقدوه بقلوبكم لكن لسان حالكم وأفعالكم ناطق
به جهارا . ولا ريب أن الله واحد . ورسوله الذى أرسله إلى هذه الأمة
واحد وهو خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم ، وشريعته التى جاء بها واحدة ،
والحق واحد كما ذكر عن الامام مالك رحمه الله . قال أشهب سمعت مالكا
يقول : ما الحق إلا واحد . قولان مختلفان لا يكونان صوابا جميعا ما الحق
والصواب إلا واحد - قال أشهب وبه يقول الليث بن سعد أبو عمر
الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الأمة . إلا من لا بصر له
ولا معرفة عنده ولا حجة في قوله . وما اختلاف الأئمة الأربعة
فيما اختلفوا فيه إلا كمثل أربعة أشخاص . اختلفوا في ناحية القبلة
وهم في جهة واحدة منها . مثلا في الجانب الغربى من الكعبة . فصلى كل واحد
منهم إلى ناحية من الجهات الأربعة بعد بذل الجهد في التحرى . فاتقضى بكل

واحد منهم أناس واثت تعرف المصيب للقبلة منهم واحد لاستحالة ان
تكون في الجهات الأربعة من بقعة واحدة فاذا استحال ان تكون القبلة في
الجهات الأربعة من بقعة واحدة فكذلك يستحيل ان يكون الحق مع الأئمة
الأربعة في أمر واحد اختلفوا في حله وحرمة وجوازه وعدم جوازه وان
كانوا هم مأجورين في ذلك المصيب منهم للإصابة والاجتهاد . والمخطئ منهم
للاجتهاد فقط . لا للخطأ بل لقصد الصواب . ومثل من يخالف من
المقلدين لهم النصوص الشرعية بعد ظهورها جمودا وتعصبا للذهب كمثل العالم
بالقبلة يقتدى بمن أخطأها . والحاصل إذا حكمت بتعدد الحق يلزمك أن
تحكم بتعدد القبلة . وإذا حكمت ببطالان صلاة المقتدى العالم بالقبلة بمن
أخطأها يلزمك أن تحكم ببطالان عمل المقلد العالم بالنصوص الشرعية
ويخالفها جمودا على مذهب إمامه . لعدم الفارق . ولو كان كل ما يقوله
المجتهدون باجتهادهم في الدين حقا وفق حكم الله ورسوله . لما نهى النبي صلى
الله عليه وسلم أميره بريدة أن لا ينزل عدوه إذا حاصره على حكم الله . وقال
له (فانك لا تدري ان تصيب حكم الله فيهم . أم لا . ولكن أنزلهم على حكمك
وحكم أصحابك) فتأمل كيف فرق بين حكم الله وحكم الأمير ونهى أن ينسب
حكم المجتهد إلى الله حذرا من خطأ المجتهد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في
الحديث المتفق عليه (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم
فاجتهد وأخطأ فله أجر) وهذا الحديث صريح في أن المجتهد يصيب ويخطئ . ومن
هذا . ما روى عن عمر بن الخطاب لما كتب السكاتب بين يدي أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب . رضى الله عنه . حكما حكى به (فقال هذا ما أرى الله أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب . فقال لا تقل هكذا ولكن قل هذا ما رأى أمير
(٧) تحكيم الناظر)

المؤمنين عمر بن الخطاب) وهذا عمر بن الخطاب الذي جعل الله الحق في لسانه وقلبه لم يرض ان ينسب اجتهاده إلى الله خشية الخطأ . فما بالك برأى غيره . وروى عنه أيضا بسند رجاله ثقات أنه قال (يا أيها الناس اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتني ارد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى اجتهادا فوالله ما ألوى على الحق وذلك يوم أبى جندل والكتاب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى مراجعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية . والله ورسوله كان أعلم بما في ذلك من المصلحة . والحاصل لو كان الصواب في وجهين متدافعين ما خطأ علماء السلف بعضهم بعضا في المسائل الاجتهادية . والعقل السليم يأن أن يسكون الشيء وضده صوابا وحقا كله . وقد أحسن من قال . إثبات ضدین معا فی حال . اقبح ما یأتی من المحل .

فما شرعه الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهو مشروع لجميع الأمة إلى يوم القيامة . وأى عمل صح وجاز وصار مرضيا عند الله من شخص من المسلمين لموافقته ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . فذلك جائز ومرضى من جميع من عمل من الأمة مثل عمله . وأى عمل عمله شخص من المسلمين وكان مكروها عند الله ومردودا عليه لمخالفته ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . فكذلك يكون مكروها ومردودا على جميع من عمل من الأمة مثل عمله . وأى شيء أحله الله لشخص من المسلمين فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . فهو حلال لجميع الأمة وأى شيء حرمه الله على شخص من المسلمين فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . فهو حرام على جميع الأمة وأى عمل أجر فيه شخص من المسلمين لموافقته ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم . فذلك مأجور فيه جميع من عمل من الأمة مثل عمله . وى

عمل وزر فيه شخص من المسلمين لمخالفته ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم .
فكذلك سأزور فيه جميع من عمل من الأمة مثل عمله . وأى عمل أيسح
لشخص من المسلمين فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لعذر . فكذلك .
يباح لجميع من أصيب من الأمة بمثل عذره . وغير ممكن شرعا وعقلا أن الله
سبحانه وتعالى يؤجر زيدا من المسلمين لانتسابه لمذهب فلان ويؤزر عمرا
لانتسابه لمذهب فلان الآخر في عمل واحد . كل منهما عمله مخلصا وفق
ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم . تعالى الله أن يعذب عمرا بالجحيم بفعل
ينعم فيه زيدا بالنعيم في نحو من فتاوى شيخكم السابق مثلاً الحنفى والشافعية إذا
رضع كل منهما من أم الآخر بمصة واحدة ثم نسكح أحدهما الآخر فالشافعية
تكون غير مسئولة لهذا النكاح لأنه جائز في مذهب إمامها حيث لا يكون أخاها
بمصة واحدة . والحنفى الذى هو زوجها يعذب بذلك إلا أن يعفى عنه لأنه يكون
أخاها بمصة واحدة في مذهب إمامه . وكذلك تارك الصلاة كسلا إن كان حنفى
المذهب صار من جملة فسقة المسلمين في مشيئة الله . وإن كان حنبلى المذهب
صار كافرا مؤبدا في النار . تعالى الله من أن تتناقض احكامه ووعدوه وعيده
قال تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » وأما
الاختلافات التى تكون بين أهل العلم في الفهم والاستنباط فغير داخلية فيما
ذكر . مهما اختلفوا كلهم فهم على خير . والمخطئ منهم غير ملام للعذر لالكون
كل مجتهد مصيبا كما تزعمون اتم وكذلك غير داخل العوام الآخذون بأقوال
أهل العلم بدون تحيز إلى فئة خاصة كتحيزكم . ويجب عليهم الأخذ بالكتاب
والسنة إذا بلغهم حديث عن العلماء مخالف لأقوال العلماء الذين أخذوا عنهم
لأنهم صاروا عالمين بالجزئية وهذا إذا علموا صحة الحديث من أهل العلم
وفهموا منهم معناه . ولا يجوز لهم أن يعملوا بكل ما وجدوه معنونا بقال أو

فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك يجب عليهم أن يعملوا بالكتاب إذا علموا معنى الآية وأنها محكمة من أهل العلم . وخلاصة اختلاف أهل العلم الآثمة الأربعة وخلافهم من العلماء المجتهدين . كلهم مأجورون في الإصا به والخطأ لبذل جهدهم للصواب . والآخذين بأقوالهم جاهلين بالص غير ملامين أيضا وهم على هدى مالم يطلعوا على الص الشرعى المخالف لما هم عليه فمن وجد منهم الص وفقه ثم اصر على ما كان عليه تعصبا فهو ضال مخطئ السبيل وأعماله باطلة بدون شك . وإن صححها في الدنيا جدلا وفي هذا المعنى يقول القائل :

وأخذى باختلافهم مباح لتوسيع الإله على الأنام
ولست مخالفا إن صح لى عن رسول الله قول بالكلام
إذا خالفت قول رسول ربى خشيت عقاب رب ذى انتقام
وما قال الرسول فلا خلاف له يارب أبلغه سلامى
قال المقلد . تريد أن يكون الناس كلهم علماء مجتهدين . لم يكن ذلك فيما سلف ولا يكون فيما بعد .

قال السافى : لا أريد ذلك وغير ممكن كما ذكرت . ولكن أريد أن يعمل عالمكم بالكتاب والسنة كما أمر الله تعالى ثم بأثر الصحابة رضوان الله عليهم فإن لم يجد عمل باجتهاده . أو أخذ باجتهاد من يظن أنه خير منه . ثم إذا وجد الحكم من الكتاب أو السنة ترك اجتهاده واجتهاد غيره وأخذ بالحق الذى أمر الله بالعمل به وعامىكم لو يسأل أى عالم عن حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . فأفتاه عن بينة يأخذ بقوله . ولست أعنى أنه يسأله عن الأدلة بل أعنى أن يكون قصده ذلك لا المذهب لكنتم حقيقة على أثر الصحابة رضى الله عنهم وعلى الهدى الذى تدعونه بدون بينة وأما مادام

عالمكم لا يقبل صرفا ولا عدلا إلا ما يجده في كتب مذهبه. وجاهلكم لا يقبل صرفا ولا عدلا إلا من عالم مذهبه . فانتم في معزل عن الهدى وأثر الصحابة رضوان الله عليهم والله يهدي من يشاء من عباده وهو على كل شيء قدير . ثم فلتعلم أن جدلي معك من أول الجلسة إلى هنا هو في حق من ينتسب منكم إلى العلم . أما العاى فمذهبه مذهب مفتيه كما أشرت إليه هنا . وهو المقول عن السلف وهو المنصوص في مذهب الأحناف في . البحر . وحاشية للسندى على فتح القدير . وقال في فتح القدير الحكم في حق العالمى فتوى مفتيه وقال الفلانى رأيت مثله منقولا عن بعض علماء الشافعية

قال المقلد : أ كثرث على الثرثرة بدون فائدة . والآن أحب أن أنصحك لله والدين النصيحة واحب لك ما أحب لنفسى . أترك عنك الثرثرة هذه وأترك فرقك الشرذمة وكن مع السواد الأعظم تنجح وتربح وطالع من كتب المذاهب الأربعة ماشئت تجد مايسرك . وتسكن على بصيرة من ديك . وقد قيل . من تبع عالما لقي الله سالما .

قال السلفى . إني لا أشك أنك تقصد نصيحتى بما ذكرت وتحب لى ما تحب لنفسك . بالأخص في هذا الأمر وأنا أصدقك على ما قلت . إلا أنى أرى نصيحتك هذه أشبه بنصيحة أبى جهل لأبى طالب حين احتضر شرع يقول له أبو جهل اترغب عن ملة عبدالمطلب . ولا شك أنه يحب لنفسه ملة عبدالمطلب إلا أنه يعارض بذلك التوحيد الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضه على عمه كما تعارضنى لتنعنى بنصحك هذا عن العمل بالكتاب والسنة . ولكنى سأنصحك نصحا ليس كنصحك والنصح أغلى ما يباع ويوهب . فاعلم ان الله سبحانه وتعالى لم يكلفك ويوجب عليك اتباع شخص معين من أهل العلم . وغير سائلك عن إمامك ومذهبك حين

تلقاه ويحاسبك عما اسلفت وعملت في حياتك . إنما يسألك عن رسوله الذى أرسله إلى الثقلين وعما جاء به صلى الله عليه وسلم . فأول عقبة من عقبات الآخرة . وأول سؤال واختبار سيكون لك ولغيرك هو سؤال القبر تسال فيه عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والامام الأعظم لا عن غيره تسأل قط . سيقال لك ما تقول فى الرجل الذى بعث فيكم . أو هذا الرجل . ولن تسأل عن إمام المذهب إذ ذاك ولا بعده إلا أنه سبحانه وتعالى لم يعذرك بحمل ما شرعه لعباده حيث قطع العذر بانزال السكتب وارسال الرسل صلوات الله عليهم . قال تعالى « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وقال « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » فأمر الجاهل أن يسأل أهل العلم مطلقا : وهذه نصيحة أهديكها إن قبلتها فيها سرورى وإلا فدعنى فانى على بصيرة من دينى . وأخيرا أقول لك ما قاله مؤمن آل فرعون . قال سبحانه وتعالى مخبرا عنه . (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) .

الحمد لله فى البدء والتمام والصلاة والسلام على النبى سيد الأنام وآله وصحبه الكرام .

قد تم بفضل الله وعونه سبحانه وتعالى

ما إياه أردت فى يوم الأحد

الموافق ١٢ من ذى القعدة

عام ١٣٦٦ هـ

هـ

(متممة) جل ما نقلته في هذه الرسالة من كتاب العلم لابن عبد البر ومن
 يقاطز الهمم للفلافي . فانه مروى بالأسانيد وقد حذفها للاختصار . وقال
 الفلافي في آخر مقدمته . إن جميع ما ذكرناه من الآثار من أول المقدمة إلى
 آخرها كلها : مروى بأسانيد جيد حذفناها اختصارا . وجلها لحافظ المغرب
 أبي عمر بن عبد البر من كتاب العلم والتهيد والاستذكار والاستيعاب كلها
 له . وما عداه . فن كلام حافظ المشرق أبي بكر البيهقي وقليلاً منه نقلته من
 رسالة العلامة المجتهد محمد بن إدريس الشافعي . والله موفق للصواب . ولعل
 الناظر يجد في هذه الرسالة اختصارا في بعض الأدلة وتركاً لبعضها . أما
 الاختصار فصنعتة عمدا حذرا من التطويل لأن الرسالة كالأشارة في الموضوع
 وأما ترك بعض الأدلة فتركها لوضوحها . ولعل الناظر يجد اختصارا في بعض
 الألفاظ يخل بالمعنى أو اطنابا بدون معنى أو تكرارا غير مفيد وغير ذلك .
 فان كان الناظر من علماء السنة المنصفين فليصلح ما رأى ولا يكن حظه
 مجرد الاعتراض والطعن . قال سبحانه وتعالى : كنتم خير أمة أخرجت
 للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وإن كان الناظر جاهلا
 بالكتاب والسنة فليس بالناظر المعنى وإن دعى عالما اصطلاحا لعلمه ببعض
 الفنون حاشا الكتاب والسنة .

تمت الرسالة بعون الله وحده

ويليها الفوائد السبعة

لابن القيم رحمه الله

بعد الفراغ من جلسات المتناظرين بدالى أن الحق الفوائد السبعة لابن

القيم التي ينبغي عليها للمفتي وليزدادها الناظر بصيرة فيما سلف

الفائدة الأولى

قال ابن القيم - ينبغي للمفتي أن يفق بلفظ النص مهما أمكنه فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام فهو حكم مضمون له الصواب متضمن للدليل عليه في أحسن بيان . وقول الفقيه المعين ليس كذلك . وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على مناهجهم يتحررون ذلك غاية التحري حتى خلف من بعدهم خلف رغبوا عن النصوص واشتقوا لهم ألفاظا غير ألفاظ النصوص فأوجب ذلك هجر النصوص ومعلوم أن تلك الألفاظ لا تفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان . فتولد من هجران ألفاظ النصوص والاقبال على الألفاظ الحادثة وتعليق الأحكام بها على الأمة من الفساد ما لا يعلمه إلا الله . فآلفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب . ولما كانت هي عصمة الصحابة وأصولهم التي إليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم وخطوهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم . ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك . وهلم جرا فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئلوا عن مسألة يقولون

قال الله تعالى كذا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا . ولا يعدلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلا قط فمن تأمل اجوابهم وجدها شفاء لما في الصدور فلما طال العهد وبعد الناس من نور النبوة صار هذا عيبا عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم وفروعهم . قال الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما أصول دينهم فصرحوا في كتبهم أن أقوال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا تفيد اليقين في مسائل أصول الدين إنما يحتاج بكلام الله ورسوله صلى

الله عليه وسلم فيها الحشوية والمجسمة والمشبهة وأما فروعهم ففنعوا فيها بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التي لا يذكر فيها نص عن الله تعالى ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن الإمام الذي زعموا أنهم قلده دينهم . بل عمدتهم فيما يفتون ويقضون به وينقلون به الحقوق ويبيعون به الفروج والدماء والأموال على قول ذلك المصنف واجلهم عند نفسه وزعيمهم عند بنى جنسه من يستحضر لفظ الكتاب ويقول هكذا قال وهذا لفظه . فالخلال ما أحله ذلك الكتاب والحرام ما حرمه . والواجب ما أوجبه . والباطل ما أبطله . والصحيح ما صححه . هذا وأناى لنا بهؤلاء فى مثل هذا الزمان فقد دفعنا إلى أمر تضيغ منه الحقوق إلى الله ضجيجا . وتعج منه الفروج والأموال والدماء إلى ربها عجيجا تبدل فيها الأحكام ويقلب الحلال بالحرام ويجعل فيه المعروف فى أعلى مراتب المنكرات والمنكر الذى لم يشرعه الله ورسوله من أفضل القربات . الحق فيه غريب . وأغرب منه من يعرفه . وأغرب منهما من يدعو إليه وينصح به نفسه . والناس قد فلق بهم فالحق الاصباح صبحه عن غياهب الظلمات . وأبان الطريق المستقيم من بين تلك الطرق الجائرات فأراه بعين قلبه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . مع ما عليه أكثر الخاق من البدع المضلات ما رفع له علم الهداية فشمر إليه . ووضع له الصراط المستقيم فقام واستقام عليه . فطوبى له من وحيد على كثرة السكان وغريب على كثرة الجيران ، بين قوم رؤيتهم قذى العيون . وشجى الخلق وكرب النفوس . وحى الأرواح . وغم الصدور . ومرض القلوب إن أنصفتهم لم تقبل طبيعتهم الانصاف . وإن طلبته منهم فإن الثريا من يد الملتمس . فقد اتسكت قلوبهم . وعى عليهم مطلوبهم . رضوا بالآمانى . وابتلوا بالحظوظ وحصلوا على الحرمان . وخاضوا بحار العلم واسكن بالدعاوى الباطلة وشقاشق

الهديان . ولا والله ما ابتلت من وشلة أقدامهم ولا زكت به عقولهم وأحلامهم
ولا ابيضت به لياليهم وأشرقت بنوره أيامهم . ولا ضحكت بالهدى والحق
منه وجوه الدفاز إذا بكى بمدادها أقلامهم . أنفقوا في غير شيء نفائس
الأنفاس واتبعوا أنفسهم وحيروا من خلفهم من الناس . ضيعوا الأصول
فحرموا الوصول . وأعرضوا عن الرسالة فوقعوا في مهامه الخيرة وبيداه الضلالة
والمقصود أن العصمة مضمونة في ألفاظ النصوص ومعانيها في أتم بيان
وأحسن تفسير . ومن رام إدراك الهدى ودين الحق من غير مشكاتها فهو
عليه غير يسير

الفائدة الثانية

حكم الله ورسوله يظهر على أربعة السنة . لسان الراوى . ولسان المفتى
 ولسان الحاكم . ولسان الشاهد . فالراوى يظهر على لسانه لفظ حكم الله
 ورسوله . والمفتى يظهر على لسانه معناه وما استنبطه من اللفظ . والحاكم يظهر
 على لسانه الإخبار بحكم الله وتنفيذه . والشاهد يظهر على لسانه الإخبار
 بالسبب الذى يثبت حكم الشارع . والواجب على هؤلاء الأربعة أن يخبروا
 بالصدق المستند إلى العلم فيكونوا عالمين بما يخبرون به . صادقين فى الإخبار
 به . وآفة أحدهم الكذب والسكران . فتى كتم الحق أو كذب فيه فقد حاد
 الله فى شرعه ودينه وقد أجرى الله سنته أن يمحى عليه بركة عليه ودينه ودينه
 ومن التزم الصدق والبيان منهم فى مرتبته بورك له فى علمه ووقته ودينه ودينه
 وكان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك
 الفضل من الله وكفى بالله علما . فبالسكران يعزل عن سلطانه وبالكذب
 يقلبه عن وجهه والجزاء من جنس العمل فجزاء أحدهم أن يعزل الله عن
 سلطانه المهابة والكرامة والمحبة والتعظيم الذى يلبسه أهل الصدق والبيان .
 ويلبسه ثوب الهوان والمقت والخوف بين عباده . فاذا كان يوم اللقاء جازى
 الله من يشاء من الكاذبين الكاتمين بطمس الوجوه وردّها على أدبارها كما
 طمسوا وجه الحق وقلوبه عن وجهه جزاء وفاقا (وما ربك بظلام للعبيد)

الفائدة الثالثة

لا يجوز للفقى أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا أو حرمه
أو أوجبه أو كرهه لما لم يعلم أن الأمر فيه كذلك بما نص الله ورسوله على
إباحته أو تحريمه أو إيجابه أو كراهيته وإذا ما وجدته في كتابه الذى تلقاه عن
قلده دينه فليس له أن يشهد على الله ورسوله به ويغرى الناس بذلك ولا علم
له بحكم الله ورسوله . قال غير واحد من السلف ليحذر أحدكم أن يقول أحل
الله كذا أو حرم كذا . فيقول الله كذبت لم أحل كذا ولم أحرمه . وثبت في
صحيح مسلم عن بريدة بن الحصيب . أن رسول الله قال (إذا حاصرت قوما
فسألوك أن تنزلهم على حكم الله ورسوله فلا تنزلهم على حكم الله ورسوله :
فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم . أم لا . ولكن أنزلهم على حكمك وحكم
أصحابك) وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول . حضرت مجلسا فيه
القضاة وغيرهم . فجرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول . زفر . فقلت ما هذه
الحكومة . فقال هذا حكم الله ، فقلت له صار حكم . زفر . حكم الله الذى
حكم به والزم به الأمة . هذا حكم . زفر . وقوله فلا تقل هذا حكم الله
ورسوله . أو نحو هذا من الكلام

الفائدة الرابعة

ليحذر المفتي الذي يخاف مقامه بين يدي الله أن يفتي السائل بمذهب الذي يقلده . وهو يعلم أن مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلا . فتحمله الرياسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب في خلافه فيكون خائنا لله ورسوله . وغاشا له . والله لا يهدي كيد الخائنين وحرم الجنة على من لقيه وهو غاش للاسلام وأهله ، والدين النصيحة والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصدق . والباطل للحق . وكثيرا ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذاهب ولا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده . فنحكي المذهب ثم نحكي المذهب الراجح . ونقول هذا هو الصواب وهو أولى ما يؤخذ به . وبالله التوفيق .

الفائدة الخامسة

إذا كان عند الرجل الصحيحان أو أحدهما أو كتاب من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم . موثوق بما فيه فهل له أن يفتي بما يجده فيه فقالت طائفة من المتأخرين ليس له ذلك لأنه قد يكون منسوخاً أو له معارض أو يفهم من دلالته خلاف ما يدل عليه أو يكون أمر ندب يفهم منه الإيجاب أو يكون عاماً له مخصص . أو مطلقاً له مقيد فلا يجوز له العمل به ولا الفتيا به . حتى يسأل أهل الفقه والفتيا . وقالت طائفة الصحابة . بل له أن يعمل به ويفتي به بل يتعين عليه كما كان الصحابة يفعلون إذا بلغهم الحديث عن رسول الله وحدث به بعضهم بعضاً بادروا إلى العمل به من غير توقف ولا بحث عن معارض ولا يقول أحد منهم قط . هل عمل بهذا فلان وفلان . ولو رأوا من يقول ذلك لأنكروا عليه أشد الانكار وكذلك التابعون وهذا معلوم بالضرورة لمن أدنى خبرة بحال القوم وسيرتهم . وطول العهد بالسنة وبعد الزمان عنها لا يسوغ ترك الأخذ بها والعمل بغيرها ولو كانت سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحنها حتى يعمل بها فلان أو فلان لكان قول فلان أو فلان معياراً على السنن ومزكياً لها . وشرطاً في العمل بها . وهذا من أبطل الباطل وقد أقام الله الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الأمة وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ سنته ودعا لمن بلغها . فلو كان من بلغته لا يعمل بها حتى يعمل بها الإمام فلان والإمام فلان لم يكن في تبليغها فائدة وحصل الاكتفاء بقول فلان وفلان قالوا . والنسخ الواقع في الأحاديث الذي اجمعت عليه الأمة لا يبلغ عشرة أحاديث البتة ، بل ولا شرطها فتقدير وقوع الخطأ في الذهاب إلى المنسوخ أقل بسكثير من وقوع الخطأ في تقليد من بصيب ويخطئ ويجوز عليه التناقض والاختلاف . ويقول القول ويرجع عنه

ويحكي عنه في المسألة الواحدة عدة أقوال ووقوع الخطأ في فهم كلام المعصوم أقل بكثير من وقوع الخطأ في فهم الفقيه المميز . فلا يفرض احتمال خطأ لمن عمل بالحديث وأفتى به إلا واضعاف اضعافه حاصل لمن أفتى بتقليد من لا يعلم خطأه من صوابه

والصواب في هذه المسألة التفصيل فإذا كانت دلالة الحديث ظاهرة بينة لسلك من سمعه لا يحتمل غير المراد فله أن يعمل به ويفتي به ولا يطلب له التزكية من قول فقيه وإمام بل الحجة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن خالفه من خالفه . وإن كانت دلالاته خفية لا يتبين له المراد فيها لم يحزن له أن يعمل ويفتي بما يتوهمه مراداً حتى يسأل ويطلب بيان الحديث ووجهه . وإن كانت دلالاته ظاهرة كالعام على أفرادها والأمر على الوجوب والنهي على التحريم . فهل له العمل والفتوى به يخرج على الأصل وهو العمل بالظواهر قبل البحث عن المعارض وفيه ثلاثة أقوال . وفي مذهب أحمد وغيره . الجواز . والمنع . والفرق بين العام فلا يعمل به قبل البحث عن المخصص . والأمر والنهي فيعمل به قبل البحث عن المعارض . وهذا كله إذا كان ثم نوع أهلية ولسكنه قاصر في معرفة الفروع وقواعد الأصوليين والعربية . وأما إذا لم يكن ثم أهلية قط ففرضه ما قال الله تعالى « فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقول النبي صلى الله عليه وسلم « ألا سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال » وإذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه المفتي من كلامه وكلام شيخه وإن علا وصعد . فاعتناد الرجل على ما كتبه الثقة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالجواز وإذا قدر أنه لم يفهم الحديث كما لو لم يفهم فتوى المفتي فيسأل من يعرفه معناه كما يسأل من يعرفه معنى جواب المفتي وبالله التوفيق .

الفائدة السادسة

يحرم على المفتي أن يفتي بضد لفظ النص وإن وافق مذهبه ومثاله أن يسأل عن رجل صلى من الصبح ركعة ثم طلعت الشمس فهل يتم صلاته . أم لا . فيقول لا يتمها . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فليتم صلاته . ومثل أن يسأل عن مات وعليه صـيام . هل يصوم عنه وليه . فيقول لا يصوم عنه وليه . وصاحب الشرع . يقول . من مات وعليه صوم صام عنه وليه . ومثل أن يسأل عن رجل باع متاعه ثم أفلس المشتري فوجده بعينه . هل هو أحق به . فيقول . ليس هو أحق به . وصاحب الشرع . يقول . هو أحق به ومثل أن يسأل عن أكل ذى ناب هل هو حرام . فيقول . ليس بحرام . ورسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول . أكل ذى ناب من السباع حرام . ومثل أن يسأل عن رجل له شريك في أرض أو دار أو بستان هل له أن يبيع حصته قبل إعلام الشريك بالبيع وعرضها عليه فيقول . نعم . يحل له أن يبيع حصته قبل إعلام شريكه بالبيع . وصاحب الشرع يقول . (من كان له شريك في أرض أو ربة أو حائط . فلا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه) ومثل أن يسأل عن قتل المسلم بالكافر . فيقول . نعم يقتل المسلم بالكافر . وصاحب الشرع . يقول . (لا يقتل المسلم بالكافر) ومثل أن يسأل عن الصلاة . الوسطى . فيقول . ليست العصر . وصاحب الشرع . يقول (صلاة العصر) ومثل أن يسأل عن رفع اليدين عند الركوع والرفع منه . هل هو مشروع في الصلاة أو ليس بمشروع .

أو مكروه . وربما غلا بعضهم فقال إن صلاته باطلة . وقد روى بضعة وعشرون نفسا - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يرفع يديه عند الافتتاح والركوع والرفع منه - بأسانيد صحيحة لا يشكون فيها . ومثل أن يسأل عن إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما ليلة الاغنام . فيقول . لا يجوز إكماله ثلاثين يوما . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين يوما) وأمثله كثيرة وقد أنهاها ابن القيم رحمة الله عليه إلى مائة وخمسين مثالا .

الفائدة السابعة

الاجتهاد هل هو يقبل التجزى والانقسام فيكون الرجل مجتهدا في نوع العلم مقلدا في غيره أو في باب من الأبواب كمن استفرغ وسعه في نوع العلم بالفرائض وآلتها واستنباطها من الكتاب والسنة دون غيرها من العلوم أو في باب الجهاد أو الحج أو غير ذلك فهذا ليس له الفتوى فيما لم يجتهد فيه . ولا يكون معرفته بما اجتهد فيه مسوغة له الافتاء بما لا يعلم في غيره ، وهل له أن يفتى في النوع الذي اجتهد فيه . فيه ثلاثة أوجه . أحدها الجواز بل هو الصواب المقطوع به والثاني المنع . والثالث . الجواز في الفرائض دون غيرها . فحجة الجواز أنه عرف الحق بدليله . وقد بذل جهده في معرفة الصواب فحكمه في ذلك النوع حكم المجتهد المطلق .

فإن قيل فما تقولون فيمن بذل جهده في معرفة مسألة أو مسألتين هل له أن يفتى بها أو بهما . قلنا نعم . في أصح القولين وهما وجهان لأصحاب أحمد . وهل هذا إلا من التبليغ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وجزى الله من أعان

الإسلام ولو بشرط كلمة خير أو منع هذا الافتاء بما علم خطأ محض والله ولي التوفيق . انتهى كلام ابن القيم رحمه الله عليه . والله يهدي من يشاء للصواب وإليه المرجع والمآب

(تتمة الفوائد)

وقدم أحاديث الرسول ونصه
فان جاء رأى للحديث معارض
فهل مع وجود البحر يسكني تيمم
وهل يوقد الناس المصابيح للضيا
سلامي على أهل الحديث فانهم
بهم يهتدى من يقتدى بعلومهم
ويحيى بهم من مات بالجهل قلبه
لهم حلل قد زينتهم من الهدى
ومن يسكن الوحي المطهر عليه
وما يستوى نال الحديث ومن تلا
وكن راغبا في الوحي لآغنه راغبا
إذا شام برقاً في سحاب مشى به
ومن قال ذاحل وهذا محرم
وكل فقيه في الحقيقة مدع
هما شاهدا عدل ولكن كلاهما
فواحر قلبي من جهول مسود
إذا قلت قول المصطفى هو مذهبي

على كل قول قد أتى بإزائه
فللرأى فاطرح واسترح من عنائه
لمن ليس معذورا لدى فقهاه
إذا ما أتى راد الضحى بضياه
مصاييح علم بل نجوم سمائه
ويرقأ بهم ذو الداء علة دائه
فهم كالخيا تحيا البقاع بمائه
إذا ما تردى ذو الردا بردائه
فلا ريب في توفيته واهتدائه
زخارف من أهوائه وهذائه
كخبايط ليل نائه في دجائه
وإلا بقي في شكة وامترائه
بغير دليل فهو محض افترائه
ويثبت بالوجهين صدق ادعائه
لدى الحكم قاض عادل في قضائه
به يقتدى في جهله لشقائه
متى صح عندي لم اقل بسوائه

يرى أنها دعوى اجتهاد صريحة
فأعجبا من جهله وجفائه
فسله أقول الله ماذا اجبتم
لأن هو يوم الحشر عند ندائه
يسألهم ماذا اجبتم ملوككم
وما عظم الإنسان من رؤسائه
أم الله يوم الحشر يمتحن الوري
بماذا أجابوا الرسل من أنبيائه
وهل يسأل الإنسان عن غير أحمد
إذا ما ثوى في الرمس تحت ثرائه
وهل قوله يارب قلدت غيره
لدى الله عذر يوم فصل قضائه
فهيات لا يغنى الفتى يوم حشره
سوى حبه خير الوري واقتدائه
وإيساره هدى الرسول وحكمه
على كل ما يقضى الهوى باقتضائه



﴿ يقول مصححه في مسك ختامه ﴾

يقول بحمد الله « عبيد » ابن عبده
لقد فاز من حاذى النبي محمدا
« وصيف وقد صح الكتاب بأصله
فهذا الذي يحيى شريعة أحمد
ولم ينأ عن أقواله وفعاله
ومن تابع الأصل الذي هو ثابت
بهذا التأسي بالنبي وآله
وفيما صالحا وابن الموفق « أحمد »
فيا نجح مبناه وحسن مآله
عليك سلام الله مادمت قائما
أقمت لدين الله خير دليله
فقارب نبي الله وادع لحبه
وأسنى التحايا الغر يوم لقائه
« عويد » ونجل « للحجازي » وصحبه
تم والحمد لله رب العالمين

فهرس تحكيم الناظر

الموضوع	صفحة
الخطبة	٢
المقدمة	٣
فيم بحث هذه الرسالة	٤
اصطلاحات مافي هذه الرسالة	٦
الجلسة الأولى في بحث الصفات	٧
السلفي يسأل عن صفات الله سبحانه وتعالى	٧
الخالفي يقول الله الحي القيوم ليس بعرض ولا جوهر	٧
السلفي يستفهم عن سبب التأويل والدليل عليه	٧
الخالفي يقول إنه مذهب جمهور علماء الخلف	٧
السلفي يعترض ويقول كلامك هذا يقتضى نفى البارى	٧
الخالفي يقول لالم أنفه بل نزهته	٧
السلفي يعترض ويقول لم تنزهه وبين وجه اعتراضه	٧
السلفي يستفهم ويقول هل تعتقد صفات الله لازمة له أم لا	٨
الخالفي يقول نعم له صفات أزلية قائمة بذاته وهى لاهو ولا غيره	٨
السلفي يعترض ويقول هذا نحو ما تقدم وهو يقتضى رفع النقيضين	٨

الموضوع	صفحة
الخلفي يقول إذا ما تقول أنت في ذلك	٨
السلفي يقول أقول كما أمر الله أن يقول فيه نبيه صلى الله عليه وسلم	٨
السلفي يقول ماذا تقول في قول الله « الرحمن على العرش استوى »	٨
الخلفي يقول معنى ذلك أنه استولى وقهر	٩
السلفي يستفهم عن السبب الحامل على التأويل والدليل عليه	٩
الخلفي يقول إنه مذهب جمهور علماء الخلف والسبب الحامل عليه هو	٩
ما قاله أحمد بن موسى الخيالي	
السلفي يعترض ويقول تكلفت يا هذا ويبين قبح ما جاء به الخلفي	١٠
الخلفي يرد بعض ما اعترض به عليه السلفي ويستشهد ببيت شعر .	١٤
السلفي يقول وعلى فرض صحة نقل بيت الشعر ويؤيد مذهب السلف	١٨
بأقوال علماء السلف .	
الخلفي يقول هؤلاء الذين يندمون على ما صنعوا	١٨
السلفي يقول يقتضى الايمان بالانبياء اتباع ما جاء وابه مطلقا	١٨
الخلفي يقول ماذا تقول أنت في قوله تعالى « الرحمن على العرش	١٩
استوى »	
السلفي يقول أقول كما قال الله تعالى وقال رسوله صلى الله عليه وسلم	١٩
والسلف الصالح	
الخلفي يقول إذا ما تقول في قوله تعالى « وهو معكم »	٢٣

الصفحة	الموضوع
٢٣	السلفى يقول نعم إنه معنا بمعنى هو أعلم بها
٢٣	الخافى يعترض ويقول أنكرت على التأويل وأولت
٢٣	السلفى يقول ليس سواء أنا وأنت شتان بين متبع ومبتدع
٢٤	السلفى يقول ما تقول فى قوله تعالى : إليه يصعد الكلم الطيب ، وما بمعناه
٢٤	الخلفى يقول أقول كما قال علماء الخلف
٢٥	السلفى يقول لماذا أولت الآيات والحديث وما الدليل عليه
٢٥	الخافى يقول هكذا قال علماء الخلف تنزيها لله تعالى
٢٥	السلفى يقول التنزيه يكون بالتصديق والتسليم بدون معارضة
٢٦	الخلفى يقول ما تقول أنت فى الآيات التى أنكرت على تأويلها
٢٦	السلفى يقول أو من بها كما جاءت وأفوض علم حقائنها إلى عالمها
٢٧	الخلفى يقول إني لم أنكرك مذهب السلف
٢٧	السلفى يقول الحمد لله الذى اعترفت أن مذهب السلف اسم
٢٧	السلفى يقول فمادمت تعلمون أن مذهب السلف حق
٢٧	الخافى يقول السبب الذى حمل الخلف على التأويل هو ما ذكره سعد الدين
٢٨	السلفى يقول هل ترى عقائدكم هذه
٢٩	الخلفى يقول معذرا للخلف
٢٩	السلفى يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو

الموضوع	صفحة
الجلسة الثانية في بحث التوسل	٣٠
السلفى يقول ماتقول فى التوسل بأهل الصلاح	٣٠
الخلفى يقول هذا جائز عندنا	٣٠
السلفى يقول هذا قياس فى الدليل	٣٠
الخلفى يقول الدليل عليه ماروى	٣٠
السلفى يقول أما قياسك الطالب من الخالق	٣١
الخلفى يقول اتذكر التوسل وقد تناقلته الأمة	٣٨
السلفى يقول ألم أقل لك أقوال المشايخ	٣٨
الخلفى يقول انتم أناس متوهبون ماتحبون النبى صلى الله عليه وسلم	٤٠
السلفى يقول بل أنتم ماتحبون النبى صلى الله عليه وسلم	٤٠
الخلفى يقول أترى وتعتقد التوسل	٤٢
السلفى يقول لا . بل أعتقد أنه شرك	٤٢
الجلسة الثالثة فى بحث الفروع	٤٥
المقلد يقول أنت مقلد ومتعبد بمذهب أى إمام	٤٥
السلفى يقول متعبد بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم	٤٥
المقلد يقول متعجبا منه — الله أكبر —	٤٥
السلفى يقول لا . ولا أعذل إن شاء الله	٤٥

الموضوع	صفحة
المقلد يقول إذا أنت خامسى	٤٦
السلفى يقول لست خامسيا بل إني سفى	٤٦
المقلد يقول ما يمكن أن تكون على الصراط المستقيم	٤٦
السلفى يقول تجنب السب والشتم	٤٧
المقلد يقول كيف تجرأت على العمل بالكتاب والسنة	٥٣
السلفى يقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها »	٥٣
المقلد يقول إذا أنت صرت مقلد الرجال الحديث	٥٥
السلفى يقول دع عنك المغالطة ليس سواء أنا وأنت ويورد الأدلة لتأييد مذهبه	٥٥
المقلد يقول حاشانا من أن نعبدهم	٥٨
السلفى يقول لقد قال عدى بن حاتم رضى الله عنه كما قلت	٥٨
المقلد يقول لا نستدل علينا بأشياء ما تعلمها	٥٨
السلفى يقول نعم إنها نزلت فيهم ولكن تنطبق عليك	٥٩
المقلد يقول لولا حكومة الوهاية لقطعنا جلدك ضربا	٥٩
السلفى يقول اللهم انصر من نصر الدين إلى أن ذكر مثالا	٥٩
المقلد يقول بخ بخ بك عليك	٦٤
السلفى يقول هذا حظك من الحجة ويؤيد بطلان التقليد بأقوال الأئمة الأربعة وسائر العلماء	٦٤

الموضوع	صفحة
السلفى يقول ما الدليل على تقليد الأربعة المذاهب إلى أن ذكر الفرق الذى بين علماء السلف واختلافهم فى الفهم وبين عمل المقلدة واختلافهم المقلد يقول الدليل « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون »	٧٣
السلفى يقول أما استدلالك بقوله تعالى وشرع يرد ما استدل به المقلد المقلد يقول المذاهب الأربعة قد مضى عليها ١٣ قرنا ونيفا	٧٤
السلفى يقول نعم إني لا أستطيع إزالة التقليد	٧٥
السلفى يقول هل ترى أن أهل المذاهب الأربعة	٨٨
المقلد يقول كلهم على الحق والهدى	٨٩
السلفى يقول فما دمتم ترون كلهم على الحق والهدى	٨٩
المقلد يقول الله واحد وشريعته فى الإسلام واحدة	٩٠
السلفى يقول وإن لم تقولوا ما ذكر بالسنتكم إلى أن ذكر فتاوى المفتى المقلد يفتى على الأربعة المذاهب	٩٠
المقلد يقول تجرأت وخضت فيما لا طاقة لك به	٩٥
السلفى يقول الحديث الذى ذكرته غير معروف باللفظ الذى ذكرته	٩٥
المقلد يقول تريد ان يسكون الناس كلهم علماء مجتهدين	١٠٠
السلفى يقول لا أريد ذلك وغير ممكن	١٠٠
المقلد يقول أكثر على الثروة وشرع ينصح السلفى	١٠١
السلفى يقول إني لا أشك انك تقصد نصيحتي وشرع ينصح المقلد	١٠١

الموضوع	صفحة
متنمة	١٠٣
الفوائد السبعة لابن القيم - الأولى منها -	١٠٤
الفائدة الثانية	١٠٧
الفائدة الثالثة	١٠٨
الفائدة الرابعة	١٠٩
الفائدة الخامسة	١١٠
الفائدة السادسة	١١٢
الفائدة السابعة	١١٣
ايات شعر لتأييد مذهب السلف حتى من مصحح الكتاب	



فهرس

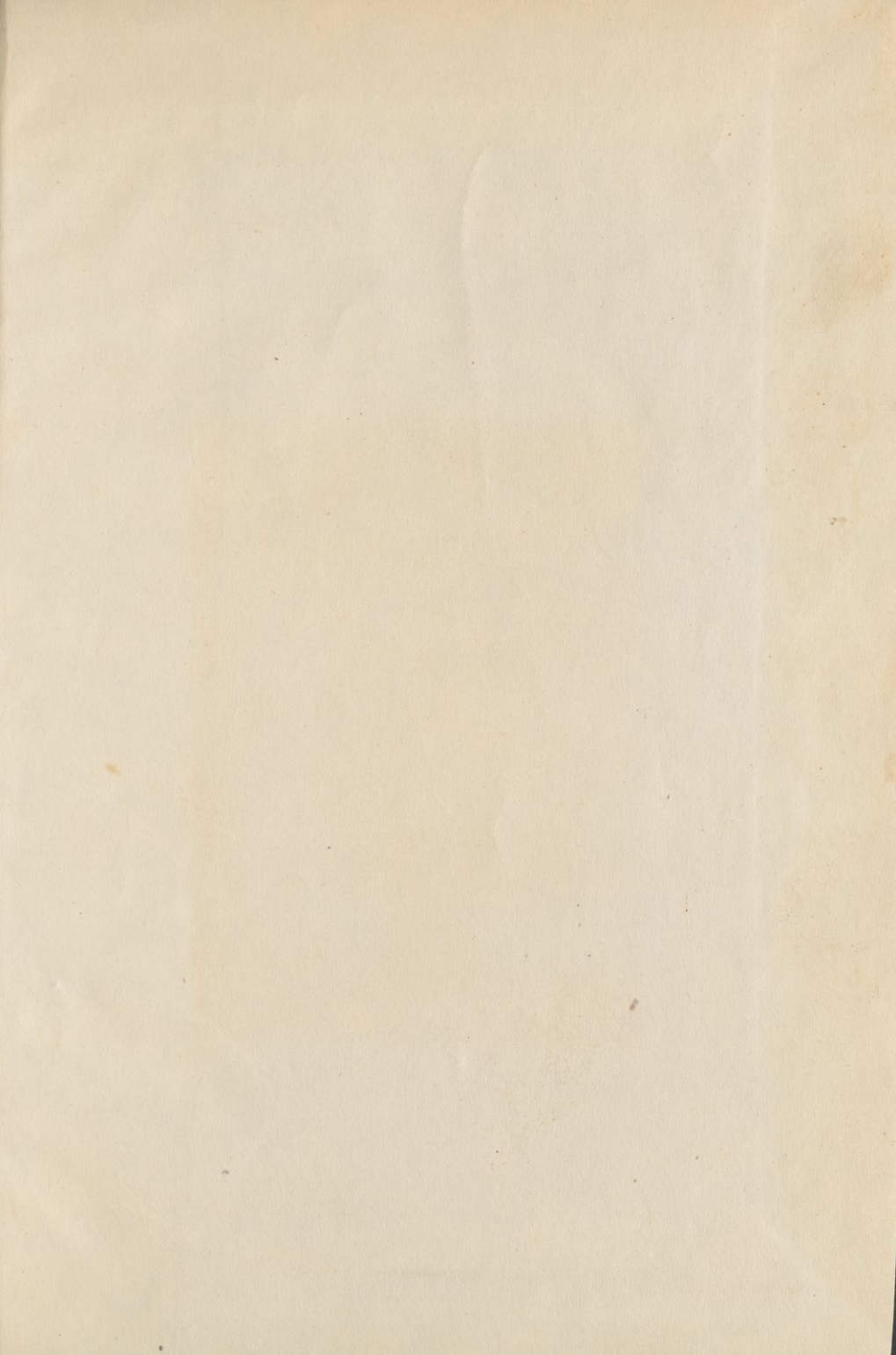
الخطأ الواقع في رسالة تحكيم الناظر

وبيان صوابه

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٦	٧	فيها جرى	فيما جرى
٧	١٠	عليه	عليك
٨	٢٢	او بن	وابن
١١	٦	أرسلنا الرسول	أرسلت الرسل
١١	١٨	ونخذي	ونخزي
١٣	٧	وما الايمان فكيف	وما الايمان قبل الوحي فكيف
١٦	٤	عن أصحابنا	عند أصحابنا
١٧	٤	كانوا	أكانوا
١٩	١	انهم	أنتم
٢١	١٤	جعل	جعله
٢٣	٥	من على ما أنا عليه	من كان على ما أنا عليه
٢٣	٢٢	لست سواء	لا سواء
٢٤	٥	ما أسلموا	ما سلموا
٢٦	٧	ترككم	تركتم
٢٦	١٨	اعبر	أغبر
٣٢	١٥	بنصره	بنصر من
٣٨	٦	دليل عقلي	دليل نقلي
٣٨	٢١	من بحثا	من بحثنا
٣٩	١٨	حتى بوق	حتى برق
٤٠	١٤	على غير	على غيره
٤١	٢٢	انها ما سلف	ان بها ما سلف

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٤٥	٧	لعلها	للعلمها
٤٨	١١	بعد هلمنا	بعد هذا
٤٩	١٩	المحدث هو فيها يحفظ	المحدث يحفظ
٥٦	١٨	يعتدون	ينقادون
٥٧	١٠	فان جعلنا	فان جعلتنا
٥٨	٢	إلا الله ورسوله	الا لله ورسوله
٥٩	٨	هذا العلة	هذا لعله
٦٣	٢	تؤاخذنا	فلا تؤاخذنا
٦٤	١٨	عبد الله ابن عبد الله	عبد الله ابن عمر
٦٥	٢	ومن والده	وما والده
٦٧	٢	في راسي	في رأي
٦٧	١٣	افني	افتي
٦٩	١٩	مات ظرت	ما ناظرت
٧١	١٧	ولم يبق	ولم يبق
٧١	١٨	على انارم	على آثارم
٧٣	١٧	في النساء	في النساء
٧٨	٣	لقلتنا	لقلتنا
٨٢	١١	فبهذا اقترعنا	فبهذا افترقنا
٨٦	٣	على ما أنزل	على خلاف ما أنزل
٨٦	١٢	مواهبكم	مذاهبكم
٨٦	١٤	مواهبكم	مذاهبكم

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٧	٢٢	فلا يعلمه لا الله	فلا يعلمه إلا الله
٩٣	٣	ابتغى لى	ابتغى لى
٩٤	٣	اللعط	اللفظ
٩٦	٢٢	فات قدى	فاقتدى
٩٨	٢٢	فذلك	فكذلك
٩٨	٢٢	وى ا	وأى
١٠٠	٤	بالمص	بالنص
١١٠	١٢	لمن أدنى	لمن له أدنى
١١٤	١٣	فى توفيقته	فى توفيقه
١١٤	١٩	بالوجهين	بالوحين
١٢٠	١٣	لا بل أعتقد	لا أعتقد



Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 074322361

